كوستي بندلي



ومعناه الانساني

طبعة رابعة منقحة ومزادة

منشورات النور

مقتطفات مما كتبه الاستـــاذ يوسف الخال
عن كتاب « الجنس ومعناه الانساني » في طبعته الاولى

« ... من حسن حظ القارىء العربي ان يصدر كتــاب في « الجنس ومعنـــاه الانساني » ، لكوستي بندلي ... وجدت نفسي امام عقل راسخ في معرفة الاسس والاصول ، متحرر من التزمت والتقليد ، منفتح على التيارات المعــاصرة في مجمــل تناقضها (...) .

« وكم افادني كتابه هذا عن الجنس . فمنه تعلمت مرة اخرى ان الجنس (...) ليس حاجة بيولوجية بحتة (...) وهو ، اذن ، لا يهدف الى ازالة توتر عضوي فقط . انه « وصال » و « جماع » مع الآخر ، يزيل العزلة التي يشكو منها الانسان ابدا (...) .

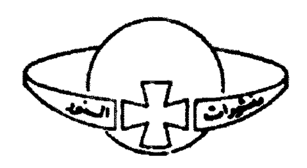
« وتعلمت ايضا ان « تحريـــر » الجنس في المجـــون المعـــاصر مـــا هـــو الا « عبودية » اقسى من عبودية الصمت والجهل والخوف (...) وكيف لا يكـــون ذلك حين يبطل الشخص الآخر ويصير التركيز على اللذة الجنسية والتهالك عليها كميـــة وتفننا ، لا نوعا وعاطفة . وهنا يدب السأم والفراغ (...) .

« وتعلمت من الكتاب ان الحب لا يبطل الملاقة الجنسية ، لكنه وحده يجعل منها « وصالا » لا احتكاكا خارجيا بين عزلتين متقابلتين (...) وما العفة ســـوى الحرص على ان يحتفظ هذا اللقاء بمرماه الاتحادي (...) فالعفة ليست سلبيـــة تعني ، بالمفهوم التقليدي الموروث ، الخوف من الجنس ، والنرجسية ، والكبت بجميع معانيه وابعاده . فما هذه الا عفة زائفة (...) .

« وتعلمت آخرا ، وهو الاهم ، ان الجنس سعي الى المطلق عن طريق الحب الذي فيه يتبلور الجنس ويتسامى (...) على ان المطلق لا يدرك بالحب الـــذي يستقطبه (...) لذلك لا يقترن الحب بالسعادة فقط ، بل بالكآبة والحنين ايضا . وهنا يجيء دور الله . فهو « المشتهى بالحقيقة » كما تقول طقسية بيزنطية ، واليـــه نسعى في آخر المطاف حركة الجنس عند الانسان (...) .

« وبايصالنا الى الله ، ينهي كوستي بندلي رحلته البهيجة الهانئة في مجاهـــل الجنس وآفاقه الرائعة .

« وهي رحلة فريدة في نوعها ، على الاقل في تراث اللغة العربية » .



الفهرس

الصفحة

الصفحة

الفصل الرابع

آفاق الجنس

لقد كان هاجسنا ، في الفصول السابقة ، ان نبحث في الجنس من زاوية انسانية صرفة ، متقصين أبعاده على ضوء معطيات العلوم الانسانية ومحاولين بالانطلاق من تلك الأبعاد تقييمه خلقياً . الا ان كل خبرة انسانية عميقة لا بد وان تطل ، اذا تلبعناها في كل امتدادها ، على ما يتجاوز الانسان ويؤسسه بآن ، معطياً لوجوده غاية ومعنى . لذا كان لا بد لخبرة صميمية كخبرة الجنس ان تتكشف لنا عن آفاق بعيدة سنحاول في هذا الفصل ان نقول عنها شيئاً ، منطلقين هنا ايضاً من الواقع الانساني ، كما يتجلى لنا في السلوك الفردي والحضاري وفي الآثار الأدبية ، مستخلصين منه ، على ضوء عقلنا وايماننا ، ما يبدو لنا المعنى الأخير للجنس الانساني .

١ – الجنس كسعي الى المطلق

يقول فرنسوا دويكارتس : « ليس من باب الصدفة ان تتكلم النصوص الدينية الكبرى التي ظهرت في الانسانية لغة الحب »[1] . كيف السبيل الى تفسير تلك الظاهرة ؟ لقد حاول فرويد ان يلقي ضوءاً عليها بقوله ان التوق الديني انما هو « اعلاء » للنزعة الجنسية . ولكنه باستقامته الفكرية المعهودة اقر بأن هذا « الاعلاء » يكتنفه الغموض[2] . بالفعل لم يحل اكتشاف عملية « الاعلاء » المشكلة ، بل بقي السؤال الآتي مطروحاً بحدة : كيف يمكن للجنس ان يرتقي من الصعيد البيولوجي الى قمم الخبرة الصوفية ، ان لم يكن حاملاً في ذاته طاقة تدفعه الى تجاوز ذاته الى ما لا نهاية ، وبعبارة اخرى اذا لم يكن المطلق مستقطباً له في الصميم ؟[3] لذا يضيف فرنسوا

دويكارتس على ما ذكرناه له اعلاه : « ذلك ان في الحب نفسه يتجلى طابع قدسي ... يهيئه للتعبير عن وقائع تتجاوز مجرى الحياة اليومية »[٤] . هذا ما حدا بمدرسة من مدارس التحليل النفسي الا وهي ، « حلقة دراسات سيكولوجية الاعماق في ڤيينا » (Cercle viennois d'études de Psychologie des profondeurs) الى عكس المنظار الذي املته على فرويد فلسفته الخاصة[٥] : فعوض ان يرى افراد هذه المدرسة (وفي طليعتهم ايغور كاروسو وولفريد دام) ان النزعة الى المطلق هي تعبير عن الجنس ، يرون في الجنس تهجئة للسعي البشري الى المطلق ، « رمزاً » للمطلق[٦] .

استقطاب المطلق للجنس البشري يتضح لنا اذا استعرضنا الخبرة الجنسية بشكل عام والحب البشرى بشكل خاص ، كما انه يتجلى بشكل صارخ فيما يمكن ان ندعوه « ديانات الجنس » على اختلافها .

اولا – الخبرة الجنسية بشكل عام

فمن جهة يبدو بوضوح ان السعي الجنسي عند الانسان يستهدف بلوغ ملء يتجاوز ما يحصل عليه الانسان عادة من خبرات الوجود ، وكأن الانسان يَنشد من وراء الممارسة الجنسية تحقيقاً لذاته مطلقاً[٧] ، سعادة فردوسية . هذا ما تعبر عنه اللغة الشعبية الفرنسية مثلا عندما تطلق على النشوة الجنسية عبارة « السماء السابعة » (و« السماء السابعة » هي ، في اللغة الصوفية ، ذروة الاتحاد بالالوهة) .

قد يُخيّل لنا ان الماجنين لا ينشدون سوى اللذة ، ولكن الواقع انهم في كثير من الاحيان يتلهفون هم ايضاً الى ملء فردوسي ينشدونه من خلال الجنس . يحدثنا فرنسوا مورياك عن الكاتب المعاصر هنري دي مونترلان ، فيقول : « لقد اختار منذ البدء بأن لا يقول لا لأية رغبة من رغباته . ولكنه كان يميز في كل رغبة مطلباً لا نهائياً . لقد كتب في مطلع احد كتبه هذه العبارة للقديسة تيريزيا : « ان رغبتنا لا دواء لها » . لقد وجدت في مفكرتي كلمات منه ... مثلاً « ما يشتهي الاجساد ، انما هي النفس فينا اكثر مما هو الجسد »[8] . لقد سمعنا ايضاً رينو ، بطل « راحة المحارب » لكريستيان روشفور ، يصرح بأن « المهم في المجون ليس اللذة ، انما هو الاله » . هناك أمثلة كثيرة على الموقف نفسه . فقد أوضح ايغور كاروسو ان « الروايات الاباحية التي صدرت في القرن الثامن عشر مليئة بالعبارات الدينية » تطلق على العمل الجنسي وما يتعلق به ، وان ذلك « العصر الأكثر عقلانية والاقل تقوى اختار اللغة الدينية للتعبير عن الجنس »[9] . واذا تفحصنا آثار ذلك الشاعر الفرنسي الكبير الذي عاش في القرن الماضي ، شارل بودلير ، رأينا ان تلك النفس المتعطشة الى المطلق كانت تحاول ان تبلغ اليه من خلال المجون لتتحرر من سأم الحياة اليومية المحدودة ، لذا نراه يطلق على النساء الفاسقات تلك العبارة التي تبدو غريبة لأول وهلة ، عبارة « الساعيات الى اللانهاية » (« chercheuses d'infini »)[10] . واذا بالجنس يصبح بالنسبة اليه ديناً ، وان كان ، كما يدعوه ، ديناً معكوساً (contre - religion)[11] .

هذا الطابع الديني المضفى على العمل الجنسي ، نراه ظاهراً

بشكل خاص في المراهقة ، ذلك السن الذي لا يقبل بانصاف الحلول بل يتوق الى المطلق مدفوعاً بزخم الحيوية المتأججة فيه . لقد بيّن الاخصائي في علم النفس التحليلي انطوان ڤيرغوت في كتابه عن « سيكولوجية الدين » كيف ان أحد أسباب الازمة الدينية عند المراهقين هو اليقظة الجنسية مع ما تتضمنه من وعد بسعادة مطلقة ، واذا بإيمانهم يتضاءل او يزول بطغيان هذا المطلق الجديد على مشاعرهم[١٢] . وقد صوّر لنا اندره جيد في روايته « مزيفو النقود » ذلك الوجه الديني الذي يتخذه الجنس عند المراهق ، في شخص ارمان ، وهو شاب ثائر على كل القيم الدينية والاجتماعية التي يمثلها والده القسيس ڤيديل . فقد سهّل أرمان لعلاقة غرامية بين شقيقته وصديقه ودفعهما الى قضاء ليلة معاً في غرفة الفتاة . لم يستطع هو ان ينام في تلك الليلة ، وفي الصبح تسلل الى الغرفة حيث كان العشيقان لا يزالان نائمين ، فتأملهما طويلاً ، ثم ، يضيف الكاتب ، « ركع فجأة أمام السرير بين الاغطية الملقاة على الارض . من يا تُرى ذلك الاله الذي كان يصلي اليه على تلك الصورة ، مضموم اليدين ؟ »[١٣] .

شيء من هذا يحدثنا عنه الروائي المعاصر جوليان غرين في مذكرات طفولته وحداثته التي نشرت بعنوان : « الانطلاق قبل طلوع النهار » . لقد بدأ الكاتب مبكراً ينفّس عن نزعته الجنسية ، المكبوتة بتأثير تربية قاسية ، بانصرافه الى رسم اجساد عارية . كانت هذه الرسوم تدخله في حالات من الانخطاف يغيب أثناءها عما حوله ، وتغذي فيه رغبات ، لم يكن يدرك عند ذاك ماهيتها ، ولكنها ، كما يقول « رغبات كان محكوماً عليها ان تبقى غير مُشبعة لانها كانت تتجاوز الامكانات البشرية »[١٤] . ويضيف الكاتب معلقاً على خبرته هذه : « احزن كثيراً عندما

أفكر انني كنت ، من حيث لا أدري ، أسعى ، بقلم أسود وورق ، وراء حلم البشرية الساقطة القديم ، حلم لذة بمقدورها ان تنتزع الانسان من الارض ولا تدعه يسقط عليها فيا بعد ... »[15]

هذا الطابع المطلق الذي رأيناه ، في كل هذه الحالات ، يلازم الخبرة الجنسية ، وجده فرويد في الرغبة البشرية (wunsch) كما تبرز عند الطفل لتستمر في العقل الباطن عند الراشد نفسه . تلك الرغبة ، من طبيعتها ان لا تعرف الشبع ، لانها لامحدودة[16] . وقد قال الدكتور ولفريد دام معلقاً على ملاحظة فرويد هذه : « يرى فرويد ان الطفل لامحدود في رغباته . تلك اللامحدودية انما هي صفة من صفات المطلق »[17] .

٢ – الحب والمطلق

ما رأيناه في الخبرة الجنسية بشكل عام ، نلحظه بشكل أوضح في الحب الذي فيه يتبلور الجنس ويتسامى . فالحب خبرة بشرية يستقطبها المطلق بشكل صارخ . هذا يتضح من نزعته الى تأليه المحبوب الذي يصبح « معبوداً » حسب العبارة الشائعة . لقد بيّنت سيمون دي بوفوار ، في كتابها « الجنس الثاني » ، ذلك التأليه المتبادل الذي يجري في علاقة الهوى[18] ، وأوضحت كيف يمكن للحب ان يتخذ شكل التديّن[19] . هناك نصوص أدبية عديدة تثبت ذلك الطابع « الديني » الذي يتخذه العشق ، ذلك الاحساس ، عند العاشقين ، انهما يبلغان ذروة الوجود ويدخلان في عالم الخلود[20] . سنكتفي ببعض نماذج من ذلك النوع من الادب ، مستقاة من الانتاج المعاصر . يصف

عمانوئيل روبلس في روايته « هذا يُدعى الفجر » ما يشعر به ڤاليريو في وصاله مع كلارا : « لقد تجددت المعجزة . لقد كان بوسع تلك المخلوقة الرقيقة ، الجذابة ، العذبة ، ان تجترح تلك المعجزة . لقد ذابت فيه وانتزعته عن الارض ! وأعطته ذلك الكبرياء اللامعقول واللذيذ بأنه لن يموت أبداً »[٢١] . وفي مكان آخر يتحدث ڤاليريو قائلاً : « هل تتذكرين ، يا كلارا ، رحلتنا الغرامية الاولى الى بوجرو ؟ الشاطىء الرملي الكبير ، الامواج الخضراء . تلك السعادة التي كان يخفق بها قلبانا ، قلبانا اللذان كانا يحسان بأنهما لن يتوقفا أبداً عن الخفقان ، انهما سيخفقان الى الابد . عيناك ، كلارا ، عيناك الرقيقتان ، يا حبيبتي ، حيث كنت أحيا ، كأن الله يتبعني بنظره ، عيناك اللتان كانتا تمنعان عني الشك وتفهمانني ان الموت ليس نهاية السر ، بل قوس النصر ، البدء ، الطريق الحقيقية »[٢٢] .

في رواية الكاتب الالماني أريك ماريا ريمارك ، « المسلة السوداء » ، يقول لويس بودمير مناجياً محبوبته : « يا ايزابيل ، عذوبتي وحياتي ، أعتقد انني أخيراً اكتشفت ما هو الحب . انه أعلى مرقاة نحو النجوم المتوارية ... محاولة أبداً فاشلة يقوم بها المائت لبلوغ الخلود ، لقاء واهٍ في الأفق بين الجلَد والامواج »[٢٣] .

يصور لنا الكاتب الروسي الكبير الكسندر سولينيتزين ، في روايته « الدائرة الاولى » ، الطابع القدسي الذي اتخذه الحب عند أحد السجناء السياسيين في العهد الستاليني ، وهو الشاب روسكا . لقد عشق هذا الشاب عاملة شابة حرة ، كلارا ، واستطاع ان يقبلها لأول مرة . ها هو الآن يحلم ، وقلبه

« يشتعل سعادة » : « لقد انقضى نصف يوم منذ تلك القبلة التي هزّت كيانه ، ولم يزل متردداً فيما اذا كان ينبغي له ان يدنس شفتيه المرتويتين بتلفظه باقوال لا طائل لها او بتناوله طعاماً »[٢٤].

لقد اوضح الشعراء من جهتهم ذلك الطابع الصوفي الذي يحمل من الحب محاولة لمعانقة الكون قاطبة والاتصال باللانهاية والنفاذ الى سر الوجود . ينشد احد الشعراء بهذا المعنى :

« لقد شربت شفتاكِ لي روح الكون ...
سقطت دمعة من عينيكِ . فنظرتُ العالم
في مرآة هذه الدمعة .
وانكشفت لي اغوار الكون ...
غرقت نظراتي في عينيكِ ...
الكون كنز مدفون تحت جفنيكِ . »[٢٥]

ويتساءل طاغور :

« هل صحيح ان سر اللانهاية
مكتوب على تلك الجبهة الصغيرة التي هي لي ؟ »[٢٦]

لا يسعنا ، في هذا المجال ، الا ان نذكر الشاعر الفرنسي الكبير لويس آراغون ، الذي اوحى له حبه لزوجته إلسا الكثير من شعره . وقد اتخذ هذا الحبّ عند هـــذا الشيوعي ابعاداً صوفية دفعت فرنسوا موررياك الى القول بأنـــه « امر يستحق الاعجاب ان كاتباً ملحداً كلويس اراغون اتاح لنا ان نعتقد بأنه بوسع الانسان ان يحقل اللانهاية في الحب »[٢٧] .

٣ - ديانات الجنس

ما رأيناه على الصعيد الفردي من استقطاب المطلق للجنس ، نجده ايضاً على صعيد حضاري .

اولا - في الحضارات القديمة و « البدائية »

فالجنس في الحضارات القديمة وعند الشعوب « البدائية » الحالية ، لا يُعتبر مجرد طاقة طبيعية ، انما هو ذو طابع قدسي ، مكان لتجلي الالوهة . لذا يُعبد الجنس وراء صور ترمز الى العضو التناسلي الذكر (cultes phalliques) ، ذلك العضو الذي يُعتبر في هذا المنظار ، رمزاً للقوة الخلاقة التي تحيي كل شيء . لذلك ايضاً يُعتبر العمل الجنسي ، في ظروف معينة ، واسطة للاتصال بالقوى الكونية . هكذا نرى الشعوب البدائية التي تتقيد عادة ، في حياتها الجنسية ، بقواعد دقيقة تعين ما هو حلال وما هو حرام (tabou) ، توقف من حين الى آخر (مثلاً في اول السنة) فعل تلك القواعد ، فيطلق الناس للغريزة العنان ، لا على سبيل الاباحية وحسب ، بل لانهم يعتقدون انهم ، بذلك الاندفاع الغريزي ، يعودون الى اصل الكون ، عندما كان فوضى (chaos) ، ويتصلون بالقوى الالهية الخلاقة مستمدين منها زخماً يجدّدون به الحياة بكل مظاهرها ويحولون دون شيخوخة الكون وانحداره . بهذا المعنى ايضاً يجب ان تُفهم ممارسة العمل الجنسي الطقسية في الحقول المزروعة ، بغية استمداد القوى الالهية المحيية واشاعتها في الارض لاخصابها .

القضية هنا تتعدى مجرّد اتصال جسدي بين رجل وامرأة ؛ انها من خلال ذلك ، اتصال مبدأين كونيين ، المبدأ المحيي الخلاق (الذي يمثله الرجـل) والمبدأ المتقبل لفعله المحيي (الذي تمثله المرأة)[٢٨] .

ثانياً – في العالم المعاصر :

ذلك الطابـــع القدسي الذي تضفيه على الجنس الحضارات القديمة و « البدائية » ، يعود فيبرز في العالم المعاصر الذي يشاء نفسه عقلانياً وعلمانياً الى ابعد حد . تلك هي المفارقة . فمـن جهة غاب الايمان عند الكثيرين ، ومن جهة اخرى برز الجنس بمثابة « الدين الجديد » بالنسبة للعديد من معاصرينا . فالجنس كما يتجلى في كتب وروايات حديثة (كمؤلفات جورج باتاي ، وروايات هنري ميللر وكريستيان روشفور) وفي افلام معاصرة (كالعاشقين للويس مالّ ، وهيروشيما حبّي) يتخذ طابع المطلق ويبدو كأنه طريق الخلاص لانسان يعذبه لا معنى الوجود ويقض الموت مضجعه ويجد نفسه في عزلة مريرة . من هـذا المنظار تبدو النشوة الجنسية للانسان المعاصر وسيلة يخيل اليه انه يستعيد بها ذاته الضائعة ، باتصاله بالطاقة الكونية .[٢٩]

في كتاب حديث « من هو ضائع ؟ » (Qui est aliéné ?) اوحته ثورة الطلاب في ايار ١٩٦٨ في فرنسا ، يعرض موريس كلافيل وجهة نظر تلقي ضوءاً على العديد من ظواهـــر العالم الحديث ، بما فيها دين الجنس الذي نحن بصدده . اطروحة الكاتب ان النزعة الانسانية (humanisme) التي تميز بها تاريخ الانسانية منذ عصر النهضة ، تلك النزعة حاولت حصر الانسان ضمن

محدوديته وجعل تلك المحدودية مقياساً لكل شيء ، فيما الانسان مزيج من المحدود واللامحدود . هكذا اقصي اللامتناهي عن مجال الوجود الانساني ، « كبت » على نحو ما صوّر فرويد كبت الغرائز . ولكن مناخاً من هذا النوع اصبح خانقاً للانسان واذا باللامحدود يبرز من جديد بعد غيابه[30] وبما انه كان مكبوتاً فبروزه يتخذ شكلاً فوضوياً ، عنيفاً . بهذا المنظار يفسر موريس كلاڤيل انتفاضة ايار ١٩٦٨ ويرى فيها تعبيراً عن هذا المخاض الذي به يثأر اللانهائي لنفسه فيفجر مجتمعاً بُني على تجاهله[31] .

على ضوء هذا التحليل يمكننا ان نفهم ايضاً دين الجنس في العالم المعاصر . ان المطلق المقصى من مجتمع حاول ان يكتفي فيه الانسان بمحدوديته ، قد وجد ملجأً له وتعبيراً في جنس رُفع الى صعيد الالوهة ، فاصبح ، كما يقول الفريد دوماس ، « الصنم الجديد »[32].

تأليه الجنس هذا نجده يتخذ شكلاً جماعياً في تلك « الحضارة » الجديدة التي اخذت تنتشر بين شبيبة العالم الحديث ، وليدة رفض لما في هذا العالم من تنكر لحاجات الانسان العميقة ، عنيت بها « حضارة » الهيبيّين . مسعى الهيبيّين ، من خلال اجتماعاتهم وموسيقاهم ورقصهم وتعاطيهم المخدرات ، « ديني » الى حد بعيد[33]، يبتغي بلوغ خبرة خارقة . انه مظهر من مظاهر تلك العودة الفوضوية للامحدود المكبوت ، التي حدثتنا عنها كلاڤيل . ويلعب الجنس دوره في هذا المسعى « الديني » ، اذ يستخدم الهيبيّون الاتصال الجنسي لبلوغ الخبرة الخارقة التي ينشدونها . يقول كروسبي ، احد المغنين في جوقات الهيبيّين : « من خلال العمل الجنسي ، الله الحب يعطي ذاته »[34].

ب - إخفاق الجنس في بلوغ المطلق

ولكن هل يبلغ الجنس هذا المطلق الذي يستقطبه ؟ الاختبار الانساني يعلمنا عكس ذلك ، يُظهر لنا اخفاق الجنس في بلوغ اللانهائي الذي يصبو اليه . هذا الاخفاق يحصل اذا كان السعي الى المطلق يتوسل المتعة الجنسية البحتة ، ولكنه حاصل أيضاً في طريق الحب عينه .

١ - المطلق لا يبلغ من خلال المتعة الجنسية البحتة

فالمتعة الجنسية البحتة هي ، كما سبق ورأينا ، نشوة عابرة يتبعها شعور بالعزلة أشد مرارة . انها لا تمكّن ، بحال من الاحوال ، من بلوغ الملء المنشود[٣٥]. لقد صور لنا بودلير هذه الخيبة التي خبرها طيلة حياته الماجنة ، عندما تحدث عن « العودة المستمرة نحو لذة تعد باخماد العطش ولكنها لا تخمده أبداً »[٣٦]. لذا فدين الجنس المعاصر يكتنفه حزن ومرارة عميقان يتجليان في الرواية الحديثة[٣٧] . يحاول الماجن ان ينجو من نقصه الكياني باتحاده بالكون من خلال النشوة . ولكنه باتخاذه اللذة كقاعدة

سلوكه الوحيدة ، ينكر الآخر كشخص ، وبالتالي يبقى أسير حدود أناه ، فلا يبلغ الآخر ولا يبلغ الكون من خلال الآخر . وكما يقول أبال جانيتير : « الطبيعة الشاملة ، التي كان يسعى الى الاتحاد بها في هذه المرأة ، تفلت منه اذ تفلت هذه المرأة منه »[٣٨]. صنمية الشهوة يرافقها احساس بالفراغ والعدم . نذكر كلمة رينو ، بطل « راحة المحارب » بهذا الصدد : « المهم في المجون ليس اللذة ، انما هو الاله ، ولكن الاله لم يزل غائباً » . وقد يصبح هذا العدم مصدر تلذذ وتذوق ، في ما يشبه الانتحار النفسي ، كما هي الحال عند جورج باتاي الذي يشبه هذا العدم الملازم لخبرة المجون « بليل » الصوفيين (أي بذلك الاختبار القاسي للعزلة الذي يمر به الصوفيون في طريق اتحادهم بالله) . الفارق المهم هو ان « ليل » المجون هو بدون رجاء .

٢ – المطلق لا يُبلغ من خلال الحب

ولكن الحب نفسه ، رغم تخطيه النسبي لنرجسية الغريزة واندفاعه في طريق الاتحاد ، ليس بمقدوره ان يدرك هذا المطلق الذي يستقطبه[٣٩]. لقد رأينا في الحب سيراً نحو الاكتمال الانساني ، ولكن هذا الاكتمال يبقى أبداً ناقصاً . فالاتحاد بالآخر مهما عمق لا يبلغ الى تلك الوحدة الكاملة التي ينشدها المحبان . هناك حواجز تنتصب أبداً بينهما ، فالطباع تتصادم ورواسب النرجسية تفرّق ومشاكل الحياة وآلامها تدفع الى الانطوائية والجفاء . هناك عزلة قائمة ابداً حتى في صميم الحب ، شعور اليم يعتري المحبان بان المشاركة بينهما ، مهما كانت صميمية ، لا تشمل كيانهما كله . واذا عبرا عن اللقاء بينهما بالاتصال الجنسي ، فصحيح

انهما يختبران من خلال انفعال شديد ولذة عارمة ، وحدة بينهما لا يعبّر عنها . الا ان هذه اللذة وذلك الانفعال لا يدومان طويلاً ، واذا بالمحبين يجدان نفسيهما بعد الوصال في وضع يتنازعه الرضى من جهة وحنين الى فردوس اطلاّ عليه برهة ولم يسعهما ان يستقرا فيه من جهة اخرى .[40]

ذلك الشعور بالعزلة في صميم الحبّ ، يعبّر عنه الروائي المعاصر بول اندره ليسور في هذا المقطع من احدى رواياته :
« كم هو وحيد كل نوم ! يظن المحبان انه بامكانهما ان يرقدا الواحد بين ذراعي الآخر ، ثم ينفصلان ، يتدحرج كل منهما الى أعماق ذاته كثمرة ناضجة . فرنسواز نائمة ، وقد تركته وحده يتحرك فيه هذا الجزع ، هذا الحزن ، هذا الحقد ، بدونها ، طوال هذه الأمسية . كم يود ان يتأكد بأن هذا ليس صورة عن حياتهما ، العناق الذي ينفكّ ، هذا الثقل ، ثقل الاجساد المستقلة »[41]

ثم أن الحبّ ، اذا كان أصيلاً ، ينزع ، كما رأينا ، الى الخلود . المحبان يحسّان عميقاً بأن حبهما لا يمكن الا ان يكون أبدياً . ولكنهما لا يستطيعان ان ينجوا من فعل الزمن ، ذلك الزمن الذي ينال من حرارة الحبّ[42] بتأثير رتابة العادة ثم بفعل الشيخوخة ، ويصب عاجلاً او آجلاً في الموت[43]. لقد خُيّل للمحبينّ ان الحب فتح لهما أبواب جنة الخلد ، واذا بالموت يبدد هذا الحلم بقسوة . هذا ما عبّر عنه عمانوئيل روبليس في روايته المذكورة آنفاً ، عندما وصف اليأس الذي اشاعه في نفس ساندور موت زوجته الشابة ماغدا : « لا بدّ ان ماغدا وساندرو تبادلا فيما مضى الكلمات المحرقة ، ربما الكلمات نفسها التي تبادلها عند الصباح كلارا وفاليريو ، الكلمات السحرية نفسها ،

كمثل سور هزيل ضد الموت ، قلبه الموت بنفخة منه ! »[٤٤] .
الحب البشري ممزّق هكذا بين توقه الى وضع يعلو على الزمن وبين خضوعه الاضطراري لذلك الزمن الذي يتأكله ثم يدمره[٤٥].

لذا يقترن الحبّ ، لا بالسعادة وحسب ، كما يحاول الكثيرون ان يتوهموا ، متعامين عن واقع مرير ، بل بالكآبة والحنين ، الى فردوس سليب ، الى مطلق يتراءى ولكنه يبقى بعيد المنال . هذا ما عبّر عنه طاغور بقوله :

« دعنا نصبح واحداً في الجمال .
أواه ! ان رغبتي هذه باطلة !
أين يتحقق رجاء الوحدة هذا
ان لم يكن فيك يا ألهي ؟ »[٤٦]

جـ - الجنس سعي إلى الله مِن خِلال المخلوق

في نداء طاغور هذا اطلالة على مـــا يعطي الجنس معناه الاخير . ان ما قلناه آنفاً يدعونا الى التساؤل عن معنى استقطاب المطلق للجنس وفشل هذا الاخير في بلوغ الملء الذي يصبو اليه . ما هو سر هذا التناقض الغريب ، في صميم الجنس ، بين مــا يتوق اليه وما يدركه ؟ من أين للجنس ان يسعى الى مطلق لا وجود له في الواقع البشري ، فيرتد خائباً ، ولكنه يعيد الكرة الى ما لا نهاية ؟ كيف السبيل الى فهم ذلك المدّ الهائل الذي يتكسّر أبداً على صخور الواقع وأبداً يتجدد ؟ هل هناك فلك محجوب عن الانظار يجتذبه أبداً الى لانهاية سمائه ؟

جوابنا على ذلك يستوحي تراثاً فكرياً عريقاً يمتد من افلاطون[47] الى موريس بلونديل وسيمون ڤايل مروراً باوغسطينوس المغبوط والصوفيين وباسكال وماليبرانش . الجنس في نزعته الى المطلق لا يمكن ان يستقطبه الا الكائن المطلق نفسه ، الا الله . الله هــو « المشتهى بالحقيقة » كما تقول قطعة طقسية بــيزنطية . اليه تسعى ، في آخر المطاف ، حركة الجنس عند الانسان : « العشق ، كما كان معلوماً لدى أفلاطون ، هو « اشتهاء الابدية »[48] . انه

سعي الى الله من خلال المخلوق . هذا ما أدركه المتصوف الكبير ابن عربي عندما قال ان الله يتجلى بنظر كل محب في محبوبه ، ذلك لانــه مستحيل ان يعشق المرء كائناً ان لم يتصور فيـه الالوهة[49] . وقد قالت المفكرة المعاصرة سيمون فايل ان ما يستقطب الحب الجنسي انما هو السعي الى الاتصال بجمال الكون ومن خلاله بالحكمة الالهية[50] .

هــذا السعي الى الالوهة من خــلال الجنس يقره فلاسفة معاصرون ملحدون لا يعترفون بواقع الالوهة . فقد كتبت سيمون دي بوفوار في كتابها « الجنس الثاني » : « لقد حُدّد الحب للمرأة كدعوتها الاسمى . فعندما توجهه الى رجل ، تفتش عن الله فيه ... الحب البشري والحب الالهي يختلطان ، ليس لان هذا الأخير إعلاء للاول ، بل لان الاول هو أيضاً حركة نحو ما يتجاوز الانسان ، نحو المطلق »[51] . أما برتراند راسل فقد قال ، معبراً عن هذا التوازي بين الحب البشري والسعي الى الله : « انني شاعر بأنني ، في قرارة النفس ، استخدم الحب البشري كوسيلة للتهرب من سعي غير المجدي الى الله »[52] .

ان هذا التلازم بين الحبّين يفسر كيف يمكن للحب البشري ان يكون مناسبة لخبرة دينية . يروي لنا انطوان فيرغوت في كتابه « سيكولوجية الدين » حادثة من هذا النوع : « كان رجل قــد تلقى في طفولته تربية مسيحية ثم اعتنق لسنوات عقلانية لادينية وعاد بعد ذلك الى ايمان غير واضح المعالم . ثم أحب فتاة ، وفي احد لقاءاتــه الاولى معها كان جالساً الى جانبها في محطة كانت الفتاة على وشك السفر منها . عند ذاك ، وفي لحظات قصيرة من الوعي الساطع ، اعــتراه على دفعتين احساس لا يمكن تحديده بأن الحياة لا يمكن ان تنقضي ، بانها

مستمرة حكماً ، بانها تسام في واقع خالد ، متعال »[53]. خبرة من هذا النوع ترويها لنا الكاتبة المعاصرة الكبيرة بيرل باك في روايتها « جناح النساء »[54].

هكذا يمكن للحب البشري ان يوقظ عند المحب توقاً الى الله من خلال عشقه للمحبوب. هذا ما عبّر عنه قديماً الشاعر الايطالي الكبير دانتي ، واتخذه الشاعر الفرنسي المعاصر بول كلوديل موضوعاً أساسياً لشعره ومسرحياته[55]. يقول دانتي متوجهاً الى بياتريس : « هل تعتقدين انني كنت اشتهيت بهذا المقدار رؤية الله لو لم ألمحه في نظرك ؟ »[56]. وقد قال عنها في موضع آخر انها كانت تنظر الى الله ، أما هو فكان ينظر اليه بعينيها وكانت السماء اكثر زرقة[57].

اذا كان المحبوب يوجّه قلب محبّه الى الله ، فهذا ناتج من كونه يوقظ فيه عطشاً لا يمكن للمحبوب ان يرويه ، لانه عطش الى المطلق. يعده بفردوس ليس بمقدوره ان يفتح له أبوابه ، لانه فردوس الاتحاد بالله. هكذا يحرّك فيه الحنين الى ربّه. هذا ما عبّر عنه كلوديل بشكل بليغ. فالمرأة المحبوبة هي ، كما يقول ، « الوعد الذي لا يمكن ان يُبرّ به »[58] ، ولكن حب الرجل لها ينتزعه من اكتفائيته الانانية اذ يحفر في قلبه فراغاً لا قرار له ويشعره بحاجته الى الله الذي يقدر وحده ان يملأ هذا الفراغ. هكذا ينكشف للمحبّ ، من خلال المرأة المحبوبة ، ذلك الحضور اللامتناهي الذي تستمد منه وجودها[59]. صحيح انه لا يسعها ان تمنح عاشقها السماء ، ولكنها تجعله يتوق اليها بكل جوارحه ، غير قادر فيما بعد ان يرتاح الى خيرات الارض وملذاتها ، غير مطمئن الى متعة الحب عينها ، لانها لا تكشف له الفردوس لحظة الا لتشعره بأنه مقصي عنه.

في مسرحية كلوديل ، « الحذاء الاطلسي » ، يصور لنا الشاعر مأساة عاشقين ، رودريغ وبروييز ، تحول الظروف دون زواجهما ، ولكنهما ما يلبثان ان يدركا ان مشكلتهما أعمق من مجرد ظروف معاكسة ، اذ ان ما ينتظره كلاهما من الآخر لا يمكن للقاء بشري ان يحققه ، ليس هو من هذا العالم ، انما يتم فقط اذ اتحدا بالله والتقيا فيه .

في حوار مؤثر بين بروييز وكميل ، منافس رودريغ في حبه لها ، يسألها هذا الآخر ، وقد أدرك بحدسه أعماق حب خصمه :

دون كميل : « بروييز ، ما يحتاج اليه رودريغ هذا ، هل هو هذا الجسد ؟

دونا بروييز : بل ، ما هو أبعد من كل جسد !

دون كميل : هل هي الروح ؟

دونا بروييز : لقد جعلت فيّ الاضطراب بسؤالك هذا ... لا أدري ما أجيب .

دون كميل : سأجيب أنا عنه . ما هو أبعد من الروح ! ما هو أبعد من الروح ، يا بروييز ، تلك النجمة التي أنت إياها !
ما هو أبعد من الروح ، يا بروييز ، تلك الكلمة الالهية التي أنت إياها بالنسبة اليه !

دونا بروييز ، بصوت خافت : نعم ! هذا ما أريد ان أكونه بالنسبة اليه ! »[٦٠]

في هذا المنظار الكلوديلي ، لا يُلغى شخص المرأة المحبوبة ، كما هي الحال مثلاً في فلسفة أفلاطون التي تعتبر المحبوب مجرد

ذريعة لبلوغ ألوهة لاشخصية هي عبارة عن المثال المطلق[61]، انما يتم لقاء المحبين في ذاك الذي منه ينبع كيانهما وبه وحده يكتمل، يتم لقاء الأنا والأنت في ذاك «الأنت المطلق» (Le Toi absolu) الذي يجد فيه كل شخص بشري حقيقته العميقة، ذاته الحقيقية، وبالتالي فيه وحده يتم ملء اللقاء بين شخص وشخص.

اضفاء صفة الاطلاق على الجنس أو على الحب هو اذاً صنمية لانه ينتظر من خبرة بشرية محدودة بطبيعتها ذلك الملء الذي لا يعطيه الا الكائن اللامحدود وحده. انه اذاً، ككل صنمية، مظهر من مظاهر تأليه الانسان لذاته[62]. ديانات الجنس على أنواعها تحاول ان تقتحم الالوهة من خلال النشوة الجنسية. ولكن الله هو بطبيعته ما لا يُقتحم، لأنه لو كان في متناول الانسان، لما كان الله، بل مجرد امتداد للانسان، صورة مضخمة لمحدوديته. صحيح ان الله حاضر في صميم الانسان، أقرب اليه من ذاته، على حد تعبير أوغسطينوس المغبوط، وما توق الجنس الى اللامتناهي سوى طابع ذلك الحضور الالهي في القلب البشري، ولكن الله هو بآن متعالٍ فوق الانسان ورغائبه، مختلف عنه اختلافاً جذرياً[63]. هذا هو المعنى العميق لوحدانية الله: الله واحد، هذا يعني خاصة انه وحيد، ان لا مثيل له. فالله اذاً ليس في متناول الرغبة البشرية، لذا فهو وحده قادر ان يحرر تلك الرغبة من محدوديتها ويحقق مرماها البعيد، شرط ان يتجاوز الانسان ذاته ورغائبه في انفتاح كلي الى ربه وإسلام تام له. هذا ما يعبّر عنه هذا الحوار بين رودريغ وبروييز في «الحذاء الاطلسي»:

رودريغ – « ما نفع تلك النجمة التي لا تُدرك أبداً ؟

بروييز – يا رودريغ ، صحيح ان المسافة التي تفصلني عنك ، لا يمكنك اجتيازها بمحض قواك .

رودريغ – أين هو اذاً ذلك السبيل بيننا ؟

بروييز – يا رودريغ ، لماذا التفتيش عنه بينما هو الذي أتى ليفتش عنا ؟ تلك القوة التي تدعونا خارج ذواتنا ، لماذا لا نضع ثقتنا بها ونتبعها ؟ لماذا لا نؤمن بها ونسلمها ذواتنا ؟...

كن كريماً بدورك ! ما فعلته أنا ، ألا يمكنك ان تفعله بدورك ؟ تجرد ! ألق عنك كل شيء ! أعطِ كل شيء لتنال كل شيء ! ... »[٦٤]

« لماذا التفتيش عنه بينما هو اتى ليفتش عنا ؟ » . تلك العبارة تشير الى ناحية جوهرية في علاقة الانسان بربه . اذا كان الله هو ذلك « الآخر بالكلية » ، كما تفترض ألوهته ، فهذ يعني ان الانسان لا يمكن ان يجده بمجرد سعيه اليه . السعي البشري المحض الى الالوهة يوجد أصناماً ولكنه لا يلاقي الاله الحي . الله لا يُعرف على حقيقته الا اذا كشف ذاته ، اذ سعى بنفسه الى الانسان[٦٥]. عند ذاك يعرف هذا الاخير ربه ويعرف ذاته بآن . هذا هو خطّ الوحي الالهي الذي يؤمن المسيحيون انه بلغ ذروته بتجسد كلمة الله . سنتوجه الآن صوب هذا الوحي لنتعرف على آفاق الجنس كما يكشفها لنا .

د - نظرة كتابيّة إلى الجنس[٦٦]

١ — الله متعال عن الجنس

ان ما يتميز به الوحي الكتابي هو اعلانه عن تعالي الله ، اي عن اختلافه الجذري عن الانسان ، وبالتالي تجاوزه لافكار الانسان وتصوراته . هذا هو احد معاني الاسم الذي اطلقه الله على نفسه في حواره الشهير مع موسى . لقد سأله موسى عن اسمه ، والاسم عند الشعوب القديمة تعبير عن جوهر المسمى ، وكأن موسى يسأل الله عن جوهره . فاجابه الله : انا يهوه ، الذي تفسيره ليس فقط : « انا الكائن » ، بل يعني ايضاً : « أنا من أنا » اي ان جوهري لا يمكن ان يُدرك .[٦٧]

ينتج عن هذا التعالي الالهي بأن الله يتجاوز الجنس[٦٨] . بهذا يختلف الوحي الكتابي اختلافاً قطعياً عن جميع الديانات الوثنية التي ربطت الله بالجنس ، فأوجدت آلهة والهات للخصب ، وانشأت « الدعارة المقدسة » تمارس أحياناً في الهياكل ، وادخلت الجنس في الحياة الالهية نفسها اذ تصورت عائلات من الآلهة فيها الاب والأم والابن.[٦٩]

٢ – الجنس في اصالته مكان حضور الهي

ولكن تعالي الجوهر الالهي فوق الانسان مقترن بحضور الهي في صميم الانسان ، اذ اننا ، كما يقول الرسول « به (أي بالله) نحيا ونتحرك ونوجد » . (أعمال الرسل ١٧ : ٢٨) . الوحي الكتابي يعلن ان كل ما فينا من نور وقوة وخير انما هو مساهمة ممنوحة لنا من الله في حياته ووجوده ، انها حضور الله فينا ، قبس من نوره في كياننا ، شبه بينه وبيننا رغم الاختلاف الجوهري . لذا فالجنس البشري في اصالته ، أي في اكتماله بالحب ، مكان لذلك الحضور الالهي .

ففي سفر التكوين وردت الآية التالية : « يوم خلق الله الانسان على مثال الله عمله . ذكراً وانثى خلقه وباركه وسماه آدم يوم خُلق » (تكوين ٥ : ١و٢) . فلنلاحظ هنا هذا الاستعمال الغريب للضمير بصيغة المفرد فيما هو يتكلم عن اثنين ، ذكر وأنثى . يعلّق يوحنا الذهبي الفم على هذه الآية بقوله : « في كلامه عن الاثنين ، يتحدث الله عن واحد »[٧١] . أما كيرلس الاسكندري فيقول بهذا الصدد : « الله خلق الكينونة معاً »[٧٢] . وكأن الكتاب يقول ان ذلك الانسان المخلوق على صورة الله ليس الانسان الفرد ، انما هو الشركة الانسانية التي يشكل اتحاد الرجل والمرأة اسمى تعبير عنها[٧٣] . اذاً اتحاد الرجل والمرأة يشكّل هذا الانسان الكامل ، هذا « الآدم » بمعنى الانسان كما ورد في النص المذكور أعلاه ، الذي هو على صورة الله . يقول الذهبي الفم بهذا الصدد : « عندما يتحد الزوج والزوجة في الزواج ، لا

يظهران بعد كشيء أرضي ، بل كصورة الله نفسه »[٧٤]. اما كيف تكون تلك الشركة الانسانية صورة لله ، فهذا لم يتضح جلياً الا في ملء الاعلان الالهي الذي أتى به العهد الجديد. فقد أدركنا على ضوئه ان « الله محبة » (١ يوحنا ٤ : ٨) ، وانه بالتالي « حركة حب أبدية » تجمع بين أقانيم ثلاثة لا يقوم كل منها الا بعلاقة الحب التي تجمعه بالاقنومين الآخرين في وحدة تامة ، هي وحدة الجوهر الالهي : « ان سر الثالوث يحقق ، متجاوزاً اياه بما لا حدّ له بآن ، اجرأ احلام الحب البشري : الوحدة التامة بين أشخاص عدة يبقون متميزين. وحدة ، وليس فقط اتحاد ... وحدة دون ذوبان ، دون اختلاط. ان يصبح الواحد الآخر ، وان يحتفظ بذاتيته ، تلك هي أمنية الحب »[٧٥]. الشركة الانسانية تعكس تلك الحقيقة الالهية دون ان تبطل تعاليها[٧٦]. فالرجل والمرأة يصبحان بالحب واحداً بصورة ما كما يقول الذهبي الفم ، مرجّعاً صدى سفر التكوين : « ان خواص الحب هي على هذا المنوال ، ان المحبوبة والمحب لم يعودا كائنين بل كائناً واحداً »[٧٧]. ولكن تلك الوحدة لا تلغي شخصيهما بل تؤكدهما ، اذ ان الشخص لا يتحقق ، كما سبق وقلنا ، الا باتصاله بالآخر ، بانفتاحه اليه. هكذا تتحقق في الحب صورة الله الثالوث. يقول ثيوفيلوس الانطاكي بهذا المعنى : « لقد خلق الله آدم وحواء ليحقق الحب الأكبر بينهما ، عاكسين سر الوحدة الالهية »[٧٨]. الحب يحقق اذاً في وحدة المحبين صورة الثالوث ، فيصبحان أيقونة لله. وصورة الله ، بمعناها الكتابي ، ليست مجرد رمز يشير الى الله ، انها مكان لحضور لله كثيف ، انها مساهمة خاصة في الحياة الالهية[٧٩]. (هذا المفهوم يوحي ، في الكنيسة الشرقية ، لاهوت الأيقونة

التي ليست مجرد رمز للالهيات يُذكّر المؤمنين بها ، بل اطلالة حقيقية من السماء على الارض) . لذا فالحب الاصيل مكان لتجلي الله ، هذا ما ورد في خاتمة نشيد الانشاد : « فان الحب قوي كالمــوت ... لهيبه لهيب نار ولظى الرب . المياه الغزيرة لا تستطيع ان تطفىء الحب والانهـار لا تغمره ... » (نشيد الانشاد ٨ : ٦ و ٧) . هذا ما يتضح أيضاً في رواية خلق المرأة كما وردت في سفر التكوين في المقطع المذكــور آنفاً . يقول اللاهوتي الكبير المعاصر جان دانيالو معلقاً على هـذا المقطع : « ... لقد ورد ان الله ألقى على الانسان سباتاً عميقاً . ليست القضية هنا قضية نوم عادي . النص اليوناني يتحدث عن انخطاف . والعبارة نفسها تعود في حادثة أخرى ، باللغة الأهميــة ، ألا وهي العهد الاول بين يهوه وابراهيم : « فوقع على ابراهيم سبات عميق » (تكوين ١٥ : ١٢) . في كلا الحالتين ، اشارة الى الذهول ... الذي يقع فيه الانسان اذا اقترب الله منه بافراط . انه انخطاف صوفي »[٨٠] .

تلك العلاقة الصميمية بين الحب والالوهة ، عبّر عنها الكتاب ايضاً باتخاذه الحب الزوجي صورة لعلاقة الله بشعبه[٨١] . هذا ما ظهر في العهد القديم عند النبي هوشع أولاً ثم عند ارميا وحزقيال واشعيا[٨٢]، وبلغ قمته في نشيد الانشاد الذي هـو ، كما يُظنّ ، نشيد عُرسي اتخذ للتعبير عن معانٍ الهية[٨٣]. وفي العهـد الجديد اتخذت الصورة نفسها ، في الاناجيل ورسائــل بولس والرؤيا ، للتعبير عن علاقة الاله المتجسد بكنيسته[٨٤]. وأخــيراً اتخذها المتصوفون المسيحيون كأفضل تعبير عن خبرتهم ، خبرة اتحاد الله بالنفس البشرية[٨٥] .

٣ - الجنس والسقوط

هذا الحضور الالهي الذي رأينا الجنس في اصالته مكاناً له ، لا يقتحم اقتحاماً ، كما اعتقد الوثنيون متجاهلين بذلك التعالي الالهي ، انما ينحدر من تلقاء ذاته لمن كان منفتحاً اليه ، متقبلاً له ، وبالتالي غير منهمك بذاته ، غير منشغل باهوائه عن ذلك الآخر الالهي الذي هو قطب وجوده . ذلك الانسان غير المكتفي بذاته ، الفقير الى ربه ، ذلك « المسكين بالروح » الذي يتحدث عنه يسوع في التطويبات ، يتقبل الالوهة فيه لانه فاتح قلبه لها .

مساهمة الانسان في حياة الله عطية حبّ له من العلي وليست فريسة في متناول مطامعه . شطط الانسان انه يحاول ان يستولي على الالوهة ، ان يتملكها بشهوته وارادته ، عوض ان يتقبل المساهمة بها نعمة تأتيه من فوق . بعبارة أخرى شطط الانسان انه يحاول تأليه محدوديته عوض ان ينفتح الى الاله اللامحدود ويدعه يتمم فيه فعله المؤلّه . ولكن تلك المحاولة محكوم عليها بالفشل الذريع ، ذلك لان المحدود لا يمكنه بفعل ذاته ان يرتفع فوق محدوديته ، واذا به أسيرها ، أسير فراغه وهزالته ، أسير العزلة والشر والموت .

ذلك الاخفاق يتجلى على صعيد الجنس في كون الانسان ، اذا شاء تأليه ذاته ، انفصل ليس عن الله وحسب بل عن الانسان الآخر أيضاً الذي يصبح بالنسبة اليه مجرد وسيلة لاشباع شهوته . هكذا يتحول الجنس عن خطه الأصيل ويخفق في مسعاه الاتحادي ؛ فاذا بالرجل والمرأة لا شريكان يتبادلان العطاء

المحي ، بل عزلتان متقابلاتان ؛[86] واذا بعلاقة العشق بينهما تتخذ طابعاً حصرياً يفصلهما عن الجماعة البشرية ويصطدم بمقتضيات الحياة الجماعية ، كما بيّن فرويد في كتابه « ضيق في الحضارة »[87]؛ واذا بتلك الطاقة التي تسعى في الاصل الى التوحيد بين البشر ، كما أوضح فرويد أيضاً ، تنقلب الى ازدواج انانيتين[88].

هذه المأساة التي هي في صميم الوجود الانساني ، منذ ظهر الانسان ، مأساة النزعة الى تأليه الذات وما يتبعه من انفصام عن الله وعن الانسان الآخر ومن تضعضع الكيان الانساني بجملته ، قد عبّر عنها الكتاب المقدس بقصة السقوط الاول الذي يرويه سفر التكوين في فصله الثالث . في هذا الفصل اشارة بليغة الى العلاقة بين رفض الانسان لارتباطه بالله من جهة وبين انحراف الجنس من جهة اخرى . تلك العلاقة يوضحها مارك اورايزون معلقاً على قصة السقوط كما وردت في الكتاب : « عندما اتى يهوه « عند نسيم النهار » وسأل آدم عما حدث ، اجاب هذا : « لست انا الفاعل ، انما المرأة التي اعطيتني اياها ... » . هكذا فكّ مصيره عن مصير حواء ، رغم كونه نعتها قبل ذلك بانها « لحم من لحمه وعظم من عظامه » . بمعنى ما ، يمكن القول بان « الخطيئة الاصلية » هي ادخال صيغة الغائب في الكلام ، تلك الصيغة التي « تبعد » وتفصل ؛ وهذا نتيجة منطقية للموقف الذي « يبعد » كلمة الآخر (اي الكلمة الالهية . »[89]

هكذا فالجنس صورة للوضع البشري باكمله في وضعه المأساوي الممزق بين نداء المطلق وصنمية تأليه الذات ، وهو مثله بحاجة الى فداء ليستقيم سعيه وتتحقق اصالته . هذا الفداء قد اتمه الله بيسوع المسيح . فالمسيح فتح امام الانسان طريق الفردوس المفقود بسبب الانتفاخ الانساني . فقد كان ، في انسانيته ، متجهاً بكليته الى الله ومن خلاله الى البشر اجمعين ، متجرداً عن كل انهماك بالذات ، فكانت حياته كلها خدمة للآب وللبشر المثقلين بأحمال الآلام والشرور ، خدمة بلغت ذروتها في تقدمته الطوعي لذاته قرباناً على الصليب . فغلب حبه هذا الموت نفسه بالقيامة وصار يسوع هكذا مصدر عدوى كيانية تنتقل الينا اذا شئنا الاتحاد به ، فتحولنا بدورنا الى كائنات منفتحة ، متحررة من الاستيلاء ومن الخوف الذي يغذي نزعة الاستيلاء هذه . هكذا مات المسيح « ليجمع ابناء الله المتفرقين الى واحد » (يوحنا ١١ : ٥٢) ، ولكي يعيد بالتالي الى الجنس ، الذي هو بطبيعته اكثف مكان لهذه الوحدة ، اصالته الانسانية . لذا جعلت الكنيسة ، وهي امتداد المسيح في التاريخ ، جعلت من الزواج « سراً » به يُفتدى الجنس بخلاص المسيح[٩٠]: « الجنس ، ككل نشاط بشري ، يحتاج الى فداء المسيح ، الى المرور في سر الصليب المطهر المحيي ... لذلك ، في العهد الجديد ، رُفع الزواج الى رتبة سر يرسخ اتحاد الزوجين في المسيح ويجعله صورة فاعلة لاتحاد المسيح والكنيسة (« ان هذا السر عظيم . اقول هذا بالنسبة الى المسيح والكنيسة » . افسس ٥ : ٣٢) ويمكّن الرجل والمرأة ان ينتصرا اكثر فأكثر بالنعمة على الانكماشية التي

تهدد حبهما ، ويهبهما ان يحبا احدهما الآخر بحب المسيح للكنيسة - وهو عطاء النفس الكامل حتى موت الصليب - وبحب الكنيسة للمسيح - وهو هبة النفس الكاملة حتى الاستشهاد - : « ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح الكنيسة وبــذل نفسه لاجلها » (افسس ٥ : ٢٥)[٩١]. لذلك نرى ان الكنيسة في خدمة الاكليل تصلي لكي يحصل الزوجان على الفرح الذي حصل لهيلانة عندما وجدت الصليب ، وتنشد في آخر الخدمة ترنيمة للشهداء[٩٢]. ان نعمة سر الزواج التي بها يُدمج الحب البشري في سر المحبة الفادية ، سر الصليب والقيامة ، ان هذه النعمة تحدث تحولاً في الجنس : ذلك الجنس المعد « ليتأنس » في الانسان ، يرتفع بفضل هذا السرّ الى قمة تفوق الوصف اذ يفيض فيه غنى الحياة الالهية بفعل تجسد ابن الله الذي ضم الى ذاتـه الطبيعة كلها ليؤلهها ... »[٩٣]

الزواج ، يقول يوحنا الذهبي الفم ، هو « سر الحب »[٩٤]. « نعمة هذا السر ، يقول لنا اللاهوتي الكبير بول افدوكيموف ، تتمم تجاوز ما هو للذات نحو حضور شفاف من الواحد للآخر ، من الواحد تجاه الآخر ، بغية تقديم ذاتيهما معاً ، كياناً واحداً ، لله »[٩٥]. تلك القوة العلوية التي تتحد الزوجـين يُشير اليها الاكليل الذي يكال كل منهما به في الطقس البيزنطي ، ذلــك الاكليل الذي يضعه الكاهن على رأس العروسين قائلاً : « ايها الرب الهنا ، بالمجد والكرامة كللهما » . فالاكليل اذاً اشارة الى « المجد » الذي يكتنف العروسين . ولكن ما هو هذا « المجد » ؟ انه بلغة الكتاب بهاء الحضور الالهي ، حضور الروح القـدس الذي يحيي الخليقة ويوحّد بين الاشخاص . ذلك « المجد » الذي ملأ انسانية يسوع يتدفق منه على المؤمنين به ليجمع بينهم على

صورة وحدة الثالوث ، حسبما ورد في صلاة المسيح قبل آلامه : لقد اعطيتهم المجد الذي اعطيتني لكي يكونوا واحداً كما نحن واحد ... لكي يكونوا مكمّلين في الوحدة ... » (يوحنا ١٧ ٢٢ - ٢٣)[٩٦]

« نعمة المسيح هذه لا تفعل بمعزل عن ارادة الزوجين وحريتهما بل انها تلهم وتعضد وتغذي ذلك المجهود الذي يتوقف عليهما ان يبذلاه يومياً في سبيل عفة زواجهما وبلوغه هدفه بانتصار الحب على قوى الانكماشية . بهذه الجهود ترتسم في الحب اكثر فأكثر صورة اتحاد المسيح والكنيسة ... »[٩٧]

الى هذا الجهاد الزوجي يشير ايضاً الاكليل الذي يُكلل به العروسان والذي يُذكرّ بالشهادة . يقول المتصوف الالماني الكبير تولر : « البعض يحتملون الشهادة مرة بالسيف ، والبعض الآخر يعرفون استشهاد الحب الذي يكللهم من الداخل »[٩٨] .

٥ - الجنس والقيامة

هكذا بالمسيح ، بالاشتراك الكياني في صليبه (وهذا قد يتم لمن لا ينتمي الى المسيح في الظاهر والعكس بالعكس ، اذ ، كما يقول أوريجانيس ، « كثيرون ممن يُعتقدون في الخارج هم في الداخل ، وكثيرون ممن يُعتقدون في الداخل هم في الخارج ») ، يدخل الجنس الى عالم القيامة ، عالم الانتصار على الموت بمعناه الكتابي العام الذي يشمل كل صنوف الضعف والشر والعزلة والتفكك . انه يصبح طريقاً للقاء الله في الآخر وبالتالي مدخلاً الى ملكوت الله .

ولكن ملكوت الله هذا ، وان كان قد زُرع بالمسيح في قلب الزمن والتاريخ (« ستأتي ساعة وهي الآن حاضرة » ، « ملكوت الله هو فيما بينكم » ...) ، لن يتحقق بالكلية الا اذا تفجّر الزمن بفعل الأبدية . نحن الآن فيه بالرجاء فقط ، « نرى في مرآة ، في لغز » ، كما يقول الرسول (١ كورنثوس ١٣ : ١٢) ، ذلك النور الالهي الذي لا يتاح لنا ان نراه « وجهاً لوجه » ونتحول به بالكلية الا مروراً ، أثر يسوع ، من باب الموت الجسدي الذي به يتمّ تعرّينا من محدودية الوجود الترابي والنرجسية الملازمة له[99].

عالم القيامة ، ملكوت الله سوف يتحقق على أكمل وجه في نهاية الازمنة ، في « يوم الرب » . عند ذاك ستزول محدودية الجنس بزوال طابعه الغريزي . بهذا المعنى يقول الرب يسوع انهم « في القيامة لا يزوّجون ولا يتزوجون » (لوقا ٢٠ : ٣٤) . ذلك ان الغريزة مرتبطة بالوضع الانساني البيولوجي الذي هو بطبيعته زائل لا محالة[100] الغريزة ملازمة اذاً للموت ، وبنوع خاص الغريزة الجنسية التي هي ، كما رأينا ، واسطة لتخليد النوع مروراً بموت الفرد[101] لذا ففي عالم القيامة الذي زال الموت منه ، يزول الطابع الغريزي للجنس أيضاً . هذا ما يستنتج من النص الانجيلي المذكور أعلاه الذي فيه اقتران بين زوال الزواج (بمعناه الارضي) وزوال الموت : « فقال لهم يسوع : « ان أبناء هذا الدهر يزوجون ويتزوجون . أما الذين يستحقون الفوز بذلك الدهر ، وبالقيامة من بين الاموات ، فلا يزوجون ولا يتزوجون ؛ ولا يمكن من بعد ان يموتوا لانهم يكونون مثل الملائكة وأبناء الله ، لكونهم أبناء القيامة » . (لوقا ٢٠ : ٣٤ – ٣٦)[102]. ولكن محدودية الجنس لن تزول الا

لكي يتحقق ، بقوة الله ، مرماه البعيد ، ألا وهو الاتحاد بالله وما هو ملازم لهذا الاتحاد ، أي التداخل الصميمي بين البشر قاطبة ، ذلك التداخل الذي يسعى اليه الحب البشري دون ان يدركه الا على وجه التقريب وضمن دائرة محدودة ، والذي هو من مميزات ملكوت الله[١٠٣] ، كما ورد في تلك العبارة المنسوبة الى الرب يسوع : « الملكوت يأتي عندما يصبح اثنان واحداً » .

٦ – العفة المكرسة

عالم القيامة هذا ، شاء البعض ان يستبقوه ، ان نعيشوا في هذا الدهر وكأنهم بلغوا نهاية الازمنة[١٠٤] . لذا تخلوا عن الممارسة الجنسية ، حتى في اسمى اشكالها ، لا احتقاراً للجنس[١٠٥] ، بل من اجل حشد كل طاقاتهم وتكريسها لله الذي به وحده يتحقق بالتمام مرمى الجنس الانساني . الزواج صورة للملكوت ، اما هم فقد شاؤوا ان يتجاوزوا تلك الصورة[١٠٦] لينفذوا ، بنعمة الله ، الى الاصل ، ويعيشوا منذ الآن حياة الذين تغلبوا على الموت .

هؤلاء ، اذا كان تكريسهم اصيلاً ، لا يمتنعون عن الجنس بضغط عقد نفسية تكبلهم ونتيجة لكبت نزعة جنسية تخيفهم ، انما يتخلون بحرية عن حبّ يستهويهم وبمقدورهم ان يعيشوه ، من اجل حبّ اسمى . انهم ، على حد تعبير يوحنا السلمي ، « يدفعون عشقاً بعشق » . ليست عفتهم المكرسة هرباً ، انما هي التزام . العفة المكرسة التي يدعو اليها الانجيل من شاء ان يتجند كلياً في خدمة ملكوت الله ، انما هي تلك التقدمة الحرة للنفس . هذا ما يشير اليه المسيح في ذلك المقطع من انجيل متى : « ان من الخصية من وُلدوا هكذا من بطون امهاتهم ، ومنهم

من خصام الناس ، ومنهم من خصوا انفسهم من اجل ملكوت السماوات » (متى ١٩ : ١٢) . يُفهم من هذا التعليم ان الامتناع عن الممارسة الجنسية (الذي يشير اليه الخصي على سبيل الصورة) لا قيمة انجيلية له اذا كان ناتجاً عن موانع نابعة من التكوين النفسي (« وُلدوا هكذا من بطون امهاتهم ») او من الضغط التربوي والاجتماعي (« من خصام الناس ») ، انما قيمتة نابعة من تكريس حر لله[١٠٧].

فمن كان على هذه الحال ، لا يعيش العفة كانقاص من حيويته بل « كتفجير » لتلك الحيوية ، كانطلاق للقوى الحية كلها نحو من هو مصدر الحياة وغايتها ؛ لا يحيا العفة كحدّ من مجال الحب في حياته ، بل على العكس كتحرير للحب من كل الحدود بانطلاقه نحو من هو الحب المطلق[١٠٨]. فلنذكر هنا تلك الأسطر التي خطّتها امرأة بتوقيع « عزباء كاثوليكية » في العدد الخاص من مجلة Esprit المخصص للجنس ، قالت : « ان دعوة للعفة تكون مشبوهة اذا كانت نتيجة عجز عن الحب . هنا أيضاً يرتكب معظم الناس خطأ فادحاً . فعن امرأة جافة ، قليلة الحب ، يقال بصورة شائعة انه كان ينبغي لها ان تدخل الدير عوض ان تتزوج . ولكن الأرجح ان تلك الزوجة غير الناجحة كانت ، لو دخلت الدير ، أصبحت راهبة فاترة ، يعوزها الاندفاع[١٠٩]. ان العفة الحقة تتطلب بالعكس ، كأرض تنبت فيها ، طاقات عاطفية (وجنسية) نامية نمواً طبيعياً ، ولكنها مدعوة الى التحول الى حب معطاء (الى الاعلاء ، اذا شاء المحللون النفسيون) بفعل جهاد طويل »[١١٠].

من عاش العفة المكرسة على حقيقتها لا يغلق قلبه دون

الحب ، انما يغرف الحب من ينبوعه الالهي ويبتهج بـه وسط جهاده . أنه لا يحس بأنه على هامش الحياة ، مقصي عن الحب ، بل يختبر اتصالاً بمن هو ملء الحياة والحب[111] ، كما ورد في البيتين الرائعين التاليين للشيخ الفاضل محمد ابو هلال الدرزي ، اللذين انا مدين بالاطلاع عليهما لصديقي المطران جورج خضر :

« يا مؤنس الابرار في خلواتهم
يا خير من حطّت بـه النزّال

من ذاق حبك لا يريـد زيادة
أنت الحبيب وما سواك محال »

ثمرة ذلك الاتصال الكلي بالله ومحكّ اصالته بآن هما المحبة التي يبديها للناس من مارس العفة المكرسة[112] ! قلت ان تلك المحبة للناس هي محك التكريس الحقيقي لله[113] ، ذلك انها وحدها تثبت ان الانسان لا يُنشد في الله حلماً جميلاً من صنع خياله ، ترتاح اليه نرجسيته ويجنبه مشقة مجابهة الواقع ، بل انما يتصل بالاله الحي الذي يتجاوز كل حلم وينتزع الانسان من قوقعة « أناه » ويطلقه في رحاب الحب اللامتناهي . ان المكرسين بالحقيقة « بما انهم انفتحوا الى الحب الذي لا حدّ له ، فان قلبهم ، عوض ان يضيق وينكمش ، شأن المكبوتين او المستهترين ، ينفتح لاقتبال كل الناس . ان حبهم ، عوض ان ينحصر في شخص وعائلة ، يشمل البشرية جمعاء التي اليها يحولون كل كنوز الانعطاف الكامنة في قلوبهم فيضرعون من أجلها ويضمدون جراحاتها ويعملون لتقدمها ونموها »[114] . هكذا فالتكريس الحقيقي لا يتم البتة على حساب محبة الناس ، كما يعتقد الكثيرون خطأ ، فان الاتصال الوثيق بينبوع الحب لا بد له ان يُترجم حباً فـائضاً للبشر :

« انهم يدخلون في لعبة الحب اللامتناهي هذه . انهم يحبون ، ويقدرون ، وينظر اليهم كل من أجل نفسه ، ليسوا محبوبين حباً أقل (sous - aimés) بل حباً أكثر (sur - aimés) »[١١٥].

ذلك التلازم بين التكريس الحق وانفتاح أكبر الى الآخرين اختبره ، فيمن اختبره ، ذلك الفريق من الشبان البروتستانت الذين أسسوا رهبنة تيزيه الشهيرة بعد الحرب العالمية الثانية ، خلافاً للتقليد البروتستانتي الذي نبذ الرهبنة . يروي لنا رئيسهم ، الأخ روجيه شوتز ، كيف اكتشف هؤلاء الشبان أبعاد العفة المكرسة . فقد كانوا في البدء ينذرونها لمدة سنة ويجددون نذرهم هذا عاماً بعد عام ، الى ان شعروا برغبة في ان ينذروها بشكل نهائي ، فأقدموا على هذه الخطوة . ولم يكونوا ليفطنوا بادىء ذي بدء الى ان نذراً كهذا قد ينسجم مع متطلبات العالم المعاصر . الا انهم أدركوا بعد ذلك انه تمرس على الانفتاح الى البشر أجمعين[١١٦]، وانه بالتالي يلبي تلك الدعوة الملحة الى التزام شؤون الناس ومشاكلهم التي يتميز بها عصرنا . وبالفعل أصبحت تيزيه محجة للشباب[١١٧]، مؤمنين وغير مؤمنين ، يتواردون اليها ليجدوا مناخ محبة وانفتاح وحوار وتحسس عميق لمشاكل العالم الثالث وتفهم لانتفاضة الشباب وسعي حثيث نحو وحدة المسيحيين والمصالحة بين البشر[١١٨]!



هكذا نرى ان الجنس اذا سار نحو تحقيق مرماه الانساني الاتحادي ، متخطياً النرجسية التي تجعله فريسة الاختناق في قوقعة الكبت او الضياع في سراب المجون ، فانه يتخذ واحدة

من طريقين : احدهما هي تعهد الغريزة وتوجيه طاقتها نحو لقاء صميمي بالآخر يكرسه الزواج ، والاخرى هي تجاوز اكثر جذرية للغريزة بالامتناع عن الحب البشري نفسه ، بغية تحويل الزخم العاطفي كله الى خدمة مكرسة لله والناس . هذان الطريقان ، وان اختلفا ، فان غايتهما واحدة في آخر المطاف[119] ، اذ ان في كليهما سعياً الى اللقاء بالآخر ، ذلك اللقاء الذي لا يكتمل الا في الله ، مركز الوحـدة بين الناس وقطب الحنين البشري .

حَواشِي الفَصْل الرَّابع

١ — راجع :

François Duyckaerts : La formation du lien sexuel, p. 271.

٢ — راجع :

A. Plé : Freud et la Religion, pp. 88-92, Cerf, 1968.

٣ — راجع :

Albert Plé : Freud et la Religion, pp. 88-92.

F. Pasche : Freud et l'Orthodoxie judéo-chrétienne, Revue Française de Psychanalyse, tome XXV, No. 1, janvier-février 1971.

Louis Beirnaert : Expérience chrétienne et psychologie, pp. 426-427, Ed. de l'Epi, Paris, 1964.

Dr. Wilfried Daim : Transvaluation de la Psychanalyse, pp. 181-182.

Paul Ricœur : De l'Interprétation, Essai sur Freud, p. 485, note 17, Ed. du Seuil, Paris, 1965.

يقول المحلل النفسي جورج موكو :

« ان القدرة الانسانية على الاعلاء لا يمكن تفسيرها كليا بالتحليل النفسي (...) فالانسان الناقص يسعى الى ذاته في جدلية المجابهة بين رغبته في المطلق وحاجز الواقع (...) الاعلاء وسيلة ونتيجة لسعي الانسان هذا الى تحقيق ذاته » .

Georges Mauco : Les Célibataires, p. 144.

٤ — راجع :

François Duyckaerts : op. cit., p. 271.

يقول الفيلسوف المعاصر جان لاكروا :

« صحيح أنهم يتحدثون عن حيل الغريزة — وبالاخص الغريزة الجنسية . ولكن ، لو كانت الغريزة محرك الحب الاوحد ، لما احتاجت الى الحيل : فمجرد كونها تحتاج الى حيل يفترض وجود حب يتجاوزها (...) اذا كانت الغريزة تتقنع بقيم نبيلة ، فذلك لأنها تحس بأنها جعلت لكي تسمو بها الروح . القناع هو المرحلة الاولى وكأنه البداية للتجلي ، والغرائز التي ترتدي هذا القناع هي الغرائز الاكثر قابلية للروحنة والمجمعة . لقد امكن

لتيون ان يقول بحق ان الجنس الذي يمثل دور المثال يكشف بذلك عينه قرابته العميقة بالمال » .

Jean Lacroix : Le Sens du Dialogue, p. 34, La Baconnière, Neuchâtel, 1965.

٥ ــ وقد تكون املته عليه ايضا مشاكله النفسية الشخصية التي يبدو انها دفعته الى اتخاذ الجنس بديلا عن الله . راجع :

Michel Dansereau : Freud et l'Athéisme, pp. 21-28.

٦ ــ راجع :

Igor Caruso : Psychanalyse et Synthèse personnelle, Ed. Desclée de Brouwer, Bruges, 1959.

Igor Caruso : Psychanalyse pour la personne, Ed. du Seuil, Paris, 1962.

Wilfried Daim : Transvaluation de la Psychanalyse.

٧ ــ يقول المحلل النفسي الكندي ميشال دانسرو :

« يبدو الجنس بمثابة محاولة غامضة لبلوغ الاكتمال وملء الحياة ، بمثابة رغبة في الابدية نجدها حاضرة حتى في اشكال الجنس الاكثر مرضية » .

Michel Dansereau : op. cit., p. 169.

٨ ــ راجع :

François Mauriac : Mémoires intérieurs, pp. 285-286, Ed. «Le Livre de poche», Paris, 1966.

Barbey d'Aurevilly : Les Diaboliques, pp. 252-253, La Guilde du livre, Lausanne, 1961.

H. de Montherlant : Les Jeunes filles, p. 261, Gallimard, 1954.

٩ ــ راجع :

Igor Caruso : Psychanalyse pour la personne, p. 98.

١٠ ــ راجع :

Charles Baudelaire : Les Fleurs du Mal, Femmes Damnées, p. 137, Le Livre de poche classique, 1963.

١١ ــ راجع :

Pierre Emmanuel : Baudelaire, Desclée de Brouwer, 1967.

١٢ ــ راجع :

Antoine Vergote : Psychologie religieuse, pp. 283. 317, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1966.

١٣ ــ راجع :

André Gide : Les Faux-Monnayeurs, p. 388, Gallimard, Paris, 1963.

Richard Llewellyn : Qu'elle était verte ma vallée !, pp. 366-367, 368, Jeheber, 1949.

١٤ — راجع :

Julien Green : Partir avant le jour, pp. 88, 93-94, Grasset, Paris, 1963.

١٥ — راجع :

Julien Green : op. cit., pp. 308-309.

١٦ — راجع :

Paul Ricœur : De l'Interprétation, Essai sur Freud, pp. 315-316.

يقول فرويد :

« الحب الطفولي لا قياس له ، انه يطالب بالحصرية ولا يكتفي باجزاء » .

S. Freud : Sur la Sexualité féminine (1931), p. 144, in La Vie sexuelle, PUF, 1970.

وفي موضع آخر يقول :

« ... اعتقد ان علينا ان لا ننسى أن هذه الدوافع الجنسية التي تظهر في بداية الحياة لها قوة تبقى متفوقة على قوة الدوافع اللاحقة ويمكن ان ننعتها بأنها ، بالمعنى الصحيح ، لا قياس لها » .

S. Freud : op. cit., p. 154.

١٧ — راجع :

Dr. W. Daim : Transvaluation de la psychanalyse, p. 232.

١٨ — راجع :

Simone de Beauvoir : Le Deuxième sexe, tome 2, p. 401, Collection «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1968.

١٩ — راجع :

Simone de Beauvoir : op. cit., pp. 376-378, 383, 390, 393, 394.

٢٠ — يقول ب. غريلو ان « حلم الفردوس المستعاد يطرز على شبكته كل حب بشري » .

P. Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture. p. 100, «Foi Vivante», Cerf, 1969.

ويستشهد جورج غرغام بتلك العبارة التي وجهها الشاعر الرومنطيقي الالماني الكبير نوفاليس لمحبوبته :

« نعم ، يا ماتيلد ، اننا خالدان لأننا نحب احدنا الآخر » .

Novalis, cité par Georges Gargam : L'Amour et la Mort, p. 22, Seuil, 1959.

ويضيف غرغام في موضع آخر :

« ان الفرد ، الذي هو انفصال وتعدد ، يحس بأنه ، من حيث هو كذلك ، معد للهلاك من جراء نقص في الكيان وفي تبرير الوجود . اما الحب ، الذي هو توق الى الواحد ، فأنه يشعر به على انه

اكتمال للوجود وبالتالي تحرر من الموت » .

Georges Gargam : op. cit., p. 175.

ويذكر الذكتور اندره مورالي — دانينوس بما علمه سقراط وافلاطون بهذا الصدد . يقول :

« ان افلاطون هو الذي علمنا ان ديوتيم — من مانتيني — علم سقراط ان الحب (...) ليس الها بل « وسيطا كبيرا بين ما هو مائت وما هو خالد » (...) وسيلة اتصال بين الآلهة والبشر » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, p. 31, Casterman, 1972.

ويضيف :

« ما هو الحب ؟ » سأل سقراط ، ويجيب بنفسه وفقا لما علمه ديوتيم : « انه الوسيط الذي يسد الفراغ الفاصل بين الآلهة والبشر ... » .

Dr. A. Morali-Daninos : op. cit., p. 133.

٢١ — راجع :

Emmanuel Roblès : Cela s'appelle l'aurore, p. 76, La Guilde du livre, Lausanne, 1959.

٢٢ — راجع :

Emmanuel Roblès : op. cit., p. 154.

٢٣ — راجع :

Eric Maria Remarque : L'Obélisque noir, p. 389, Ed. «Le Livre de poche», 1969.

٢٤ — راجع :

Alexandre Soljénitsyne : Le premier Cercle, p. 381, Editions Robert Laffont, Paris, 1968.

تقول فلورانس باركلاي عن بطلة روايتها « الوردية » التي اكتشفت الحب :

« ... اعوام العزلة الكئيبة الماضية ، تلق الساعة الحاضرة ، توقع مستقبل غير اكيد ، كل ذلك تلاشى . فقد كانت مبحرة مع غارت ، وجميع القلوع منشورة ، على محيط سحري ، بعيدا عن شواطىء الزمن . لأن الحب ابدي . فنشوء حب حقيقي يحرر المخلوق من أسر الجسد » . راجع :

Florence L. Barclay : Le Rosaire, p. 99, Ed. «J'ai lu», 1968.

٢٥ —

cité par Dr. Jouvenroux : Témoignage sur l'amour humain, p. 54.

٢٦ — راجع :

Tagore : La Fugitive, cité par Dr. Jouvenroux : op.

cit., p. 58.

٢٧ ــ راجع :

L'Orient, 2 septembre 1970, p. 7.

٢٨ ــ راجع :

Louis Beirnaert : Expérience chrétienne et Psychologie, pp. 425-426.

Roger Caillois : L'Homme et le Sacré, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1963.

Roger Bastide : La Sexualité chez les «Primitifs», in Sexualité humaine, Lethielleux, Paris, 1966, pp. 57-72.

Mircea Eliade : Images et Symboles, p. 16, Ed. Gallimard, Paris, 1963.

Jean Servier : Rites et Symboles de l'Accouplement, in «Janus», No. 3, octobre 1964, Ed. Robert Laffont, Paris.

Abel Jeannière : Anthropologie sexuelle, pp. 54-55, 60-61.

Mikel Dufrenne : Mythe, Science et Ethique du sexe in La Sexualité, «Esprit», novembre 1960, pp. 1703-1704.

Lanza del Vasto : Le Pélerinage aux sources, pp. 74-75, 94-95, «Le Livre de poche», 1964.

Dr. Marcel Eck : L'Homme et l'Angoisse, p. 117, Fayard, Paris, 1964.

Antoine Vergote : Psychologie religieuse, pp. 56, 59-60.

David-Herbert Lawrence : Le Serpent à plumes, pp. 114-115, La Guilde du livre, Lausanne.

C.G. Jung et Ch. Kerényi : Introduction à l'essence de la mythologie, pp. 82, 85, 86, 101, «Petite Bibliothèque Payot», 1968.

Max-Pol Fouchet : L'Art amoureux des Indes, pp. 9, 33, 92, 95, La Guilde du Livre, Lausanne, 1957.

Pierre Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture, pp. 13-24, «Foi Vivante», Cerf, 1969.

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 22-23, 25, Ed. Seghers, Paris, 1972.

٢٩ ــ راجع :

Menie Grégoire : Un dernier mot sur l'amour, in La Sexualité, «Esprit», novembre 1960, pp. 1950-1951.

Alfred Simon : Le Sexe et l'Ecrivain, id, pp. 1881-1887.

Michel Deguy, in La Sexualité, id., p. 1662, pp. 1697-1698.

Philippe Muller : id, pp. 1700-1701.

Jean Brun : id., p. 1700.

V. Morin et J. Majault : Un Mythe moderne, l'Erotisme, pp. 7, 50, 102.

A. Picyre de Mandiargues : Le Lis de Mer, pp. 111-112, 130-131, «La Petite Ourse», Lausanne, 1962.

يقول الدكتور جيلبير توردجمان :

« ان عصرنا ، الساعي الى ايمان ، يشعـر بحاجة عميقة الى اعادة القدسية للحب » » . راجع :

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 29-30.

٣٠ — في كتابه « الله بالنسبة لانسان اليوم » ، يبين جاك دوكين ان مجتمع الاستهلاك الذي يحصر الانسان فيـه في ابعـاده كمنتج ومستهلك ، لا يترك مكانا لله الا كبلسم او ملهاة . ولكن هذا المجتمع، ينصب عليه الاتهام اليوم من كل صوب . واذا بالانسـان ، الذي يرفض ان يستوعب ويقولب ، يسعى متلمسا الى الله كأبى معنى وجوده . راجع :

Jacques Duquesne : Dieu pour l'homme d'aujourd'hui, pp. 290-292, Grasset, 1970.

ويشهد العالم الفيزيائي الكبير لويس لوبرانس — رانغي في حديث ادلى به في بيروت :

« ان حاجة الى المطلق ، يصعب التعبير عنهـا ، وضبطها ، وفهمها ، ولكنها ذات طابع ديني عميق ، تدفع بأستمـرار عصرنـا المدهش » .

Louis Leprince-Ringuet : Variations sur la pensée des scientifiques devant la société «Eglise», p. 14, in «Samedi», du 3 au 9 août 1974, pp. 13-14.

ويقول كريستيان ده لاكمباني :

« ... هذه العودة الى القدسية le sacré بكل اشكالهـا انما هي ... عامة اليوم ، خاصة عند الشباب . مردها ... الجفاف الروحي الاقصى الذي قادتنا اليه ايديولوجية المجتمع الـذي تتحكم فيه التقنية » .

Christian Delacampagne : Antipsychiatrie. Les voies du sacré, p. 296, Grasset, 1974.

راجع أيضا :

Guy Riobé : La Liberté du Christ. Entretiens avec Olivier Clément, pp. 148-149, Stock-Cerf, 1975.

٣١ — راجع :

• La Revanche de l'infini, propos de Maurice Clavel, recueillis par J.P. Manigne, «Informations Catholiques Internationales», No. 365-366, août 1970, pp. 30-32.

تقول ميشال جوز — رولان :

« (ان الطلاب) يفتشون عن قيم اكثر اصالة من التسابق وراء

آلة الغسل او الرفاهية المادية البحتة . انهم جائعون الى نوع من الصوفية ترفض لهم » .

Michèle Joz-Roland : Qu'as-tu fait de ton Dieu ?, p. 88, «Points Chauds», Fayard, 1970.

راجع ايضا :

Jacques Duquesne : Dieu pour l'Homme d'aujourd'hui, pp. 45-70, 80, Grasset, 1970.

Maurice Clavel, in Cinq types autour d'un archétype.

Table-Ronde Planète : Dieu est-il ressuscité ?, p. 18, in «Planète», mai 1970.

Les Signes du temps. Le Retour de la contemplation, in «Informations Catholiques Internationales», No. 399, 1 janvier 1972, p. 14.

٣٢ — تقول كلير جبيلي :

« لقد احرق العلم الآلهة وهياكلهم . فلكي يعوضوا عنهم ، عاد البشر الى عبادات العهود القضيبية (اي العهود التي كان يعبد فيها عضو التذكير) » .

Claire Gebeyli : L'Orient-Le Jour, Vie Moderne, Culture, Jeunes, du 12 au 18 février 1972, p. 9.

وايضا :

« منذ بضعة سنين ، نشر سامبيه رسما في « الاكسبرس » : يمثل شخصين امام صورة ضخمة لحسناء عارية ؛ احدهما يقول للآخر بنبرة متعبة : « لقد جربت المسيحية ، ثم الاشتراكية ، وبعد ذلك الماركسية . البوذية بعيدة جدا . سأجرب مذهب الجنس érotisme » .

Claire Gebeyli : op. cit.

راجع ايضا :

Jean Chevalier : Archétypes, Mythes et Rêves, symboles de l'inconscient collectif, pp. 43-44, in C.G. Jung : L'Homme et son Message, «Planète + Plus», octobre 1970.

Jules Romains : Le Dieu des Corps, «Les Meilleurs livres français», 1952.

٣٣ — بموجب تقرير قدم في الدورة الرابعة « للجمعية الدولية لعلم النفس الديني » ، المنعقدة في فورزبورغ من ٨ الى ١٢ ايلول ١٩٦٩ ، يتضح « ان الشباب ، الذين يتناولون من وقت الى آخر او بانتظام مخدرات مهلة ، يقولون ان الباعث الاساسي لسلوكهم هذا انما هو جوع الى اختبار ماورائي — ديني ، لا تشبعه الديانات التقليدية » .

cité in Mort et Présence, Les Cahiers de Psychologie religieuse, 5, p. 284, Ed. de Lumen Vitae, 1971.

راجع ايضا :

Dominique Desanti : Show-business sacré, in «Planète», No. 16, avril-mai 1970, pp. 27-34.

Michel Lancelot : Je veux regarder Dieu en face, Albin Michel, 1971.

مما يثبت هذا الطابع الديني للحركة الهيبية ، تلك الظاهرة التي برزت في الولايات المتحدة عندما اخذ عدد من الهيبيين ، منذ نيسان ١٩٦٨ ، وفي احد المراكز الاساسية للحركة الهيبيـــة ، وهو منطقة سان فرنسيسكو ، يدعون امثالهم الى بلـــوغ الانخطـــاف بواسطة الايمان بالمسيح ، عوض ان يسعوا اليه من خلال تناول المخدرات . وقد نشأت ، من جراء ذلك ، حركة تضم بضعة عشرات آلاف من الشبـــاب ســـمـــوا انفسهـــم بـ Jesus freaks اي الهيبيين المسيحيين . وقد ورد في الصحيفة الناطقة بلسانهم The Goad « لقد ادركنا انه كان (اي المسيح) ذاك الذي كنـــا نفتش عنه منذ البدء » (عدد ٢٦ آب ١٩٧١ ، ص ٤) . راجع :

Jean Duchesne : Jesus-Revolution, made in U.S.A., in «Etudes», juin 1972, pp. 803-821.

وفي الخط نفسه ، قال رئيس جماعة هيبية بولـــونية ، يسميه رفاقه « النبي » ، في مقابلة اجريت معه :

« في آخر المطاف ، ما يفتش عنه الهيبيون في المخدر ، انما هـــو معنى للحياة ، ما يحاولون أن يرووه ، انما هو العطش الى حياة مليئة وجميلة » . وايضا :

« انني مقتنع شخصيا ان بامكان الكنيســة ان تسد الفراغ الذي يشعر به كثيرون من الهيبيين ، وانهم اذ ذاك يتركـــون المخدر » .

Entretien avec un hippie polonais, in «Informations Catholiques Internationales», No. 418, 15 octobre 1972, pp. 19-21.

٣٤ — راجع :

Philippe Hamon : Les composantes religieuses du phénomène «hippy» et de la «pop music», in «Témoignage Chrétien», No. 1363, 20 août 1970, p. 18.

٣٥ — هذا ما صوره اميل زولا بشكل بليغ في روايته « فـــرح العيش » . بطل الرواية ، لعازر شانتو ، المستحوذ عليه الخوف من الموت ، تطع علاقته بقريبته بولين ، التي كان يـــربطه بها حب عميق ، ليتزوج من لويز ، وهي فتاة جذبته اليها شهوانيـــا مفاتنها المثيرة . يقول الكاتب :

« في باريس ، في وسط حمى الحب التي كانت تنتابـــه ، نسي لعازر الموت . لقد كان يلجأ بوله الـــى ذراعي لويز ، وكان بعـــد ذلك ، وقد اخذ منه التعب كل مأخذ ، يرقد رقاد طفل . وهي ايضا

كانت تحبه كعشيقة ، بغنجات شبقة كأنها غنجات قطة (...) هذا الاشباع النزق لرغباتهما القديمة ، ونسيان كل مـــا تبقى في عناق احدهما للآخر ، كانا قد أستمرا طالما كانا يعتقدان انهما لن يجدا حدا لهذه الافراح الشهوانية . ولكن الشبع اخذ في الظهور ، فكان هو يندهش لكونه لم يكن يستطيع ان يتجاوز نشوة الايام الاولى ، بينما هي ، في حاجتها الوحيدة الى الملاطفات ، لم تكن تطلب او تريد اكثر من ذلك ، وبالتالي لم تكن تقدم له اي سند او تشجيع مما تحتاج لـــه الحياة . هل كان فرح الجسد محدودا بهذا المقدار ؟ الم يكن بالامكان التعمق فيه بأستمرار ، واكتشاف احاسيس جديدة فيه بغير انقطاع ، بحيث ان جدة هذه الاحاسيس تكون من القوة بمقـــدار كاف لأحلال وهم السعادة ؟ ذات ليلة ، استيقظ لعازر مذعورا على هبوب النفثة الباردة التي كان يقف لملامستها شعر رقبته ، فأخذ يرتجف ، وتمتع في اطلاق صيحته الجزعة : « يا الهي ! يا الهي ! لا بد من الموت ! » كانت لويز راقدة الى جانبه . وها أنه كان يجد المـــوت في نتيجـــة قبلاتهما » .

Emile Zola : La Joie de vivre, pp. 210-211, La Guilde du Livre, Lausanne, 1964.

٣٦ — راجع :

Baudelaire : Art romantique, 221, cité par Pierre Emmanuel : Baudelaire, pp. 89-90.

٣٧ — راجع :

Alfred Simon : op. cit.

٣٨ — راجع :

Abel Jeannière : Anthropologie Sexuelle, pp. 59-63, p. 170.

٣٩ — راجع :

Marc Oraison : Le Célibat, pp. 41-44.

Jean-Claude Barreau : La Reconnaissance ou Qu'est-ce que la foi ? pp. 45-48, Ed. du Seuil, 1968.

Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, p. 45, Les Ed. Ouvrières, 1968.

٤٠ — راجع :

Marc Oraison : Le Mystère humain de la sexualité, pp. 109-111.

يقول جورج غرغام ان الحب يسعى دون جدوى الى « وحـــدة الاشخاص التي لا يمكن تحقيقها » ، ويصور لنا مأساة بطلي الحب ، تريستان وايزولت ، اللذين ، كلما اقتربا احدهما من الآخـــر ، كلما اتضحت لهما استحالة اللقاء الكامل الذي يتوقان اليه :

« تريستان وايزولت ، شقيان في الحضور ، متقاربان ولكنهما

غير متداخلين . في اثناء عناقهما ، يلعنان المسافة العدوة . ان العناق يجلب لهما ، بصورة اكثر ايلاما من الغياب ، الشعور بأنهما منفصلان (. . .) فالقرب يكشف بعداً لا يمكن ازالته . « بعيدان بهذا المقدار ، قريبان بهذا المقدار ! قريبان بهذا المقدار وبعيدان بهذا المقدار ! . . . » . راجع :

Georges Gargam : L'Amour et la Mort, pp. 24-25.

راجع ايضا :

Richard Llewellyn : Qu'elle était verte ma vallée ! p. 388, Jeheber, 1949.

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 79.

٤١ — راجع :

Paul-André Lesort : Le Vent souffle où il veut, cité par René Wintzen : Paul-André Lesort, romancier de la médiation, «Ecclesia», No. 215, février 1967, p. 81.

الطفل المولود من الحب لا يجسد اتحاد المحبين وحسب ، بل يعلن بوضوح ، من جراء كيانه المستقل ، عن استحالة الوحدة الكاملة التي كانا ينشدانها بينهما :

« ان الطفل ، المولود من رغبتين تتوافقان دون ان تتمكنا من انضمام احدهما الاخرى بصورة كاملة ، يتخذ وجوده المستقل : انه يخلد اللقاء ولكنه يخلد الانفصال ايضا : انه اللقاء المنفصل » .

M.J. Jacquey : Le Corps à Corps père-mère-enfant au cours de la petite enfance, p. 5, L'Ecole des Parents, mai 1971.

راجع ايضا :

Charles Morgan : Fontaine, Le Livre de poche, pp. 287-288.

٤٢ — راجع الحوار بين فريدريك وزميله وصديقه جيرار ، في فيلم « الحب ، بعد الظهر » ، لأريك روهمر ، حيث يقول فريدريك :

« احلم بحياة لا تتألف الا من حالات من الحب الاول ومن الحب الدائم (اي ان يدوم الحب ويكون في كل لحظة كأنه حب جديد) (. . .) اريد المستحيل ، انا اعرف ذلك » .

cité in L'Orient-Le Jour, Cinéma, Femme, Loisirs, du 11 au 17 novembre 1972, p. 3.

٤٣ — في قصيدته الشهيرة « كآبة اولمبيو » ، يقول فيكتور هيغو بلسانه ولسان محبوبته :

« سوف يمر الآن سوانا حيث مررنا نحن
« لقد اتينا الى هذا المكان ، غيرنا سوف يأتي اليه ،
« والحلم الذي بدأته روحانا ،
« سيتابعونه دون ان يتمكنوا من اكماله . . . » .

Victor Hugo : La Tristesse d'Olympio.

ويقول جاك ده بوربون ــ بوسيه :

« هنا يظهر القلق ، كرفيق للفرح لا يفترق عنه . ان موت الزوج هو كابوس دائم للآخر . الدودة حاضرة في الثمرة . ولا يستطيع اي منطق ان يتغلب على هذا القلق . . . » .

Jacques de Bourbon-Busset : Radioscopie du bonheur, p. 82, in Oui au bonheur, Semaine des Intellectuels Catholiques, 1970, Desclée de Brouwer, 1970.

ولكن الموت لا يهدد الحب من الخـــارج ، كنامـــوس طبيعي ، وحسب ، انما تستدعيه حركة الحب نفسها ، كما توضح اوديت تيبو قائلة :

« . . . المفارقة هي ان رغبة الحب في الافلات من الزمن (ان عبارة « نشوة » بالفرنسية ex-stase تعني « خارج الزمن ») تدفعه نحو الموت ، لأن الموت هو الوسيلة الوحيدة للخروج من الزمن والدخول في الابدية ــ راجع اســـاطير الحب الكبـــرى : تريستان وايزولت ، روميو وجولييت ، الخ . . . » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 23.

٤٤ ــ راجع :

Emmanuel Roblès : Cela s'appelle l'aurore, p. 161.

٤٥ ــ راجع :

Marc Oraison : Le mystère humain de la sexualité, pp. 142-143.

٤٦ : ــ راجع :

Tagore : La fugitive, cité par Dr. Jouvenroux : op. cit., p. 71.

يقول بطل « الوردية » لفلورنس باركلاي عن الحبيبة :

« . . . في تلك اللحظة ولدت رغبة بها لا يمكن لشيء ان يشبعها، ولن يشبعها شيء حتى اليوم الذي سألتقي فيه من جديد واياها في نور المدينة المذهبة ، حيث لن يكون فيما بعد لا دمـــوع ولا الم ولا ظلمة . . . » . راجع :

Florence L. Barclay : Le Rosaire, p. 227, Ed. «J'ai lu», 1968.

راجع ايضا :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 257-258.

٤٧ ــ راجع :

Georges Gargam : L'Amour et la Mort, p. 148.

٤٨ ــ راجع :

Olivier Clément et P. Evdokimov : Discerner les esprits ?, in «Informations Catholiques Internationales», No. 313-314, juin 1968, p. 28.

٤٩ —
cité par Denis de Rougemont : Comme toi-même, pp. 228-229.

٥٠ — راجع :

Simone de Beauvoir : Le Deuxième Sexe, tome II, Livre de poche», 1963.

٥١ — راجع :

Simone de Beauvoir : Le Deuxième Sexe, tome II, pp. 416-419.

٥٢ —

cité par Alain Woodrow : Bertrand Russell : 1872-1970, in «Informations Catholiques Internationales», No. 355, 1 mars 1970, p. 31.

بهذا المعنى ايضا يقول الكاتب غير المؤمن روجيه فايان :
« الحب الجنوني عبارة اخرى عن حب الله » .

Roger Vailland : Les Mauvais Coups, p. 126, «La Petite Ourse», La Guilde du Livre, Lausanne, 1960.

٥٣ — راجع :

Antoine Vergote : Psychologie religieuse, p. 82.

٥٤ — راجع :

Pearl Buck : Pavillon de Femmes, pp. 317, 457, Ed. Rencontre, Lausanne.

من الشواهد على تلك الظاهرة ، ما حدث لأحد كبار المفكرين واللاهوتيين الارثوذكس المعاصرين : الأب سرجيوس بولغاكوف . فقد عاش في شبابه خبرة الحاد قوية . منذ حوالي الرابعة عشرة من عمره ، « تقوض الايمان في نفسه ، وبعد ازمات وشكوك ، امتلكها فراغ ديني » . وبعد ان اصبح عالما اقتصاديا كبيرا يستلهم الماركسية ونائبا في مجلس النواب الروسي (الدوما) ، كشف له الله ذات يوم ، وقد كان في الرابعة والعشرين من عمره ، من خلال جمال الطبيعة . وقد اعطي له الكشف نفسه بعد ذلك بواسطة الحب . يقول راويا هذه الخبرة :

« ما كانت الجبال تحدثني عنه في نورها المهيب ، تعرفت عليه في نظرة فتاة ، تحت سماوات اخرى ، قرب جبال اخرى (...) أن كشف الحب عرفني على عالم آخر ، عالم كنت قد فقدته » .

Serge Boulgakov : La Lumière sans déclin, Moscou, 1917, en russe, cité par Olivier Clément : Dialogues avec le patriarche Athénagoras, p. 268, Fayard, 1969.

خبرة مماثلة يفضي بها الينا الكاتب الفرنسي جاك ده بوربون — بوسيه :

« فيما يختص بي ، فان زوجتي ، بحبها السخي وغير المشروط ،

اعادت الي الشعور بالمطلق ، وبالتعالي ، ذلك الشعور الذي كنت قد فقدته كليا » .

Jacques de Bourbon-Busset : Radioscopie du bonheur, p. 82, in Oui au bonheur, Desclée de Brouwer, 1970.

يقول اينياس لاب :

« ان كبريال مارسيل ، في مجرى تحاليله الثاقبة للوجود ، قد فهم ذلك جيدا ، فقد كتب : « ان الحب البشري ليس بشيء ، وهو مائت لذاته ، ان لم يكن حاملا طاقات لامتناهية . . . لكي لا يموت ، ينبغي له ان يكون منفتحا » . انما المقصود هنا الانفتاح الى حب تفوق قوته قوة الحب المسمى « بشريا » .

Ignace Lepp : La Mort et ses Mystères, p. 193.

راجع ايضا :

François Mauriac : Un Adolescent d'autrefois, p. 186, Ed. «J'ai lu», 1972.

٥٥ — راجع :

Paul Claudel : Le Soulier de satin, Ed. Gallimard.

Paul Claudel : Partage de Midi, «Le Livre de poche», 1965.

Paul Claudel : Feuilles de saints, Ed. Gallimard.

٥٦ —

cité par André Alsteens : Dialogue et sexualité, p. 271.

٥٧ —

cité par Paul Evdokimov : Sacrement de l'Amour, p. 148.

٥٨ — في مسرحية كلوديل « قسمة الظهر » تقول ايزي لحبيبها ميزا : « انا المستحيل » .

P. Claudel : Partage de Midi, p. 51, Le Livre de poche.

٥٩ — راجع :

Georges Cattaui : Claudel, poète lyrique, «Ecclesia», No. 245, août 1969, p. 48.

André Alsteens : Dialogue et sexualité, pp. 271-273.

٦٠ — راجع :

Paul Claudel : Le Soulier de Satin, Edition pour la scène, p. 198, Gallimard, Paris, 1951.

٦١ — راجع :

Christos Yannaras : De l'Absence et de l'Inconnaissance de Dieu, pp. 117-118, Cerf, 1971.

راجع ايضا :

Platon : Le Banquet, 211 b7-c9, cité par Christos Yannaras : op. cit., p. 133, note 117.

٦٢ ــ راجع :

P. Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture, p. 100.

٦٣ ــ راجع :

Arthur Michael Ramsey : Dieu, Christ et le Monde, pp. 34-35, Casterman, Paris, 1969.

٦٤ ــ راجع :

Paul Claudel : Le Soulier de satin, version intégrale.

٦٥ ــ راجع :

Christos Yannaras : De l'Absence et de l'Inconnaissance de Dieu, p. 118, Cerf, 1971.

٦٦ ــ راجع :

Les Lettres d'Amour de François et d'Antoinette, pp. 83-85, Les Editions Ouvrières, 1967.

٦٧ ــ راجع :

Marc Oraison : op. cit., pp. 135-136.
pp. 127-128.

٦٨ ــ راجع :

Marc Oraison : op. cit., pp. 135-136.

تقول ماريز شوازي :

« ان الها ذكرا او انثى يكون ناقصا . لا يمكنه ان يكون الاله **الوحيد** (. . .) ليس للمطلق نقص او رغبة » .

Maryse Choisy : Moïse, p. 103, Mont-Blanc, 1966.

٦٩ ــ راجع :

Herbert Haag : L'Histoire biblique de la Création, aujourd'hui, pp. 42, 50, in Haag, Haas et Hurzeler : Bible et Evolution, Mame, 1964.

Pierre Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture, pp. 24-27, «Foi Vivante», Cerf, 1969.

٧٠ ــ راجع المقابلة التي اجراها سمير عطاالله مع المطران جورج خضر ونشرت بعنوان : « الملحق » يتجرا مع المطران جورج خضر ، « ملحق النهار ــ الاتحاد اللبناني » ، ١٤ ايار ١٩٧٢ ، ص ٦ .

٧١ ــ

cité par Paul Evdokimov : Sacrement de l'Amour, p. 160.

٧٢ ــ

cité par Paul Evdokimov : op. cit., p. 162.

٧٣ ــ راجع :

Jean Daniélou : Au Commencement : Genèse 1-11, pp. 47-51, Ed. du Seuil, Paris, 1963.

Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, pp. 35-38, Les Editions Ouvrières, 1968.

٧٤ —

cité par Paul Evdokimov : op. cit., p. 163.

٧٥ — راجع :

A.C.J.F. : Eléments de doctrine spirituelle, fiche No. 25.

٧٦ — راجع :

cité par Paul Evdokimov : op. cit., p. 163.

٧٧ —

cité par Paul Evdokimov : op. cit., pp. 161-162.

٧٨ —

cité par Paul Evdokimov : op. cit., p. 162.

٧٩ — راجع :

Christos Yannaras : op. cit., p. 128, note 59.

تقول مارسيل ليفي :

« ... ان حب الزوج يشير الى علاقة الله بالانسان نفسها ، وبصيرورته هذه الاشارة لا يفقد شيئا من انسانيته . فهو ليس مجرد ذريعة ، مناسبة للتحدث عن شيء آخر . بل بالعكس اكتسب ما يشبه بعدا جديدا ، نوعا من الكثافة ، من جراء قدرته على كشف ما يتجاوزه » .

Marcelle Lévy : Comprendre l'Evangile, p. 52, in Jésus ou le Christ ?, «Foi Vivante», Cerf, 1970.

٨٠ — راجع :

Jean Daniélou : op. cit., p. 48.

٨١ — راجع :

Marc Oraison : Le Mystère humain de la sexualité, pp. 138-140.

يقول جان — ماري له بلون :

« معروف ... ان قمة ، ذروة الحديث عن الله والحديث الى الله في الكتاب تظهر خاصة في كلام مستعار من الحب البشري ، الشقي sexué ، من حيث انه التمثيل الاكثر تعبيرا » .

Jean-Marie Le Blond : Unité de l'expérience chrétienne, p. 224, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, tome 17 avril 1970.

راجع ايضا :

Paul Beauchamp : A travers Canaan, pp. 160-161, in op. cit.

٨٢ — راجع :

Pierre Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture,

pp. 46-55, 107, 121-123.

٨٣ — راجع :

Pierre Grelot : op. cit., pp. 61-67.

٨٤ — راجع :

Pierre Grelot : op. cit., pp. 81-88, 108.

٨٥ — راجع :

Ignace Lepp : Psychanalyse de l'Amour, pp. 270-273.

يقول اللاهوتي اليوناني المعاصر خريستوس ياناراس :

« ان كاتب الكتابات الاريوباغية (وهي كتابات صوفية نسبت الى ديونيسيوس الاريوباغي) يستشهد بتلك العبارات لكاتب آخر مجهول : « ان حبك انقض علي كحب النساء » .

Christos Yannaras : op. cit., p. 117.

وفي موضع آخر يقول :

« لقد كتب القديس نيلوس الزاهد : « ان اكثر العشاق جنونا بمن يحبها ، لا يجاري شوقه شوق الله ، عندما يسعى الى النفس التي تريد التوبة » .

Christos Yannaras : op. cit., p. 123, note b.

راجع ايضا :

P. Grelot : op. cit., p. 66.

يقول كارل ستارن :

« ان الطبيعة تربة النعمة ، وحب الجنسين صورة الحب الالهي »،.

Karl Stern : Refus de la Femme, p. 190, Mame, 1969.

وفي موضع آخر :

« ... ان تحقيق الحب ، سواء بين الرجل والمراة ، او بين الانسان والله ، يتضمن الموت . وكأن الاتحادين يساهمان في السر نفسه ... » . راجع :

Karl Stern : op. cit., pp. 218-219.

٨٦ — في رواية « طواحين بيروت » ، لتوفيق يوسف عواد ، نجد هذه الافكار ، وردت على لسان الصحفي الثائر والماجن رمزي رعد ، وهي تعبر ابلغ تعبير عن جذور مأساة الحب البشري :

« تميمة احبت كلماتي . احبتني انا بالغلط .

« خلطت بيني وبين كلماتي . لان كلماتي ليست أنا . ليست انا الذي يدرج بين الناس ، على كل حال . وحينما اتضحت لها الحقيقة تركتني .

« الكلمات نفسها ، القصائد التي عملتها لتميمة عملتها لعشرات قبلها واعملها الآن لغيرها . اكذب ؟ المسألة ليست مسألة كذب وصدق . الم اقل لك اننا كلنا نؤجر ارواحنا ؟ (...) .

« الحب بيع .

« بيع بات . ونحن لا نرضى ان نبيع ارواحنا . متعلقون بها — كتعلق جدي بجل التوت الذي ورثه عن ابيه عن جده . يزرعه الى الآن تفاحا . يترك التفاح يهترىء على امه كل سنة . لا يريد ان يبيع بخسارة . هكذا نحن ، يهترىء كل شيء في ارواحنا ، ويملأ خياشيمنا النتن ، ولا نبيع .

« وحده روميو باع روحه لجولييت وباعته روحها .

« وحدهم الملهمون المؤمنون يبيعون ارواحهم ، لا يؤجرونها (...) .

« سيد من باع روحه المسيح .

« والانبياء كلهم والشهداء ... » .

توفيق يوسف عواد : طواحين بيروت ، ص ٢٦٧ — ٢٦٨ ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٢ .

٨٧ — راجع :

Jean-Michel Palmier : Présentation d'Herbert Marcuse, pp. 66, 84-86.

٨٨ — يقول فرويد :

« في اشد الحب ، لا يبقى اي اهتمام بالعالم المحيط ، فالماشقان يكفيان احدهما الآخر ، وليسا بحاجة حتى الى طفل مشترك ليسعدا . لا توجد حالة اخرى يفضح فيها الجنس Eros بشكل افضل جوهر طبيعته ، قصده بأن يجعل من عدة كائنات كائنا واحدا ، ولكنه ، عندما ينجح في ذلك بجعله كائنين يعشقان احدهما الآخر ، يكتفي بذلك و ، كما يشهد المثل ، يقف عند هذا الحد » .

S. Freud : Malaise dans la Civilisation (1929), p. 47, Revue française de Psychanalyse, 1, tome 34, janvier 1970, pp. 9-80.

٨٩ — راجع :

Marc Oraison : Le Mystère humain de la sexualité, pp. 146-147.

Olivier Clément : L'Eglise orthodoxe, p. 39, P.U.F., Paris, 1961.

يقول ادمون بريوتان :

« الخطر ، الخطر الكبير منذ الخطيئة ،

« هو ان ينسى المرء ان الحب عطاء للذات ،

« انفتاح ، تجرد ،

« مجانية خلاقة ،

« — وبأن يتجه الى الاشياء والاشخاص ،

« ليأخذ منها ، ليأسر منها شيئا ،

« ويحتفظ به لنفسه ،

« اذا بأن ينغلق ، ينطوي على نفسه :
« عند ذاك لا يعود الحب عطاء بل اشتهاء ،
« لا يعود حركة ، بل توقفا ،
« لا يعود انفتاحا ، بل انغلاقا ،
« انغلاقا على الذات ، على « الأنا » : انانية .
« هذا هو خطر الحب الاعظم والوحيد ،
« هذا هو سم الحب .
« انه في صميم كل خطيئة :
« ارادة المرء ان يصنع حياته دون الله .
« انه يفسر الالتباس والنقص
« في كثير من حالات الحب :
« فان انانية تختبىء بها ، كالدودة في الثمرة » .

Edmond Barbotin : Croire, pp. 141-142, Desclée.

راجع ايضا :

Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, pp. 38-44, Les Editions Ouvrières, 1968.

Pierre Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture, pp. 41-42, p. 106.

٩٠ — راجع :

P. Grelot : op. cit., pp. 90-92, 108-110.

٩١ — راجع :

P. Grelot : op. cit., pp. 123-126.

٩٢ — يقول اللاهوتي الارثوذكسي الانكليزي تيموثي وير في كتابه « الارثوذكسية . كنيسة المجامع السبعة » :

« ان ذروة خدمة (الزواج) الثانية هي الاحتفال بالتكليل ، فيضع الكاهن اكليلا على راس كل من الزوجين (...) هذان الاكليلان هما علامة السر المنظورة ويشيران الى النعمة الخاصة التي يتلقاها الزوج couple من الروح القدس ، من اجل ان يؤسس عائلة جديدة ، كنيسة منزلية . هذان الاكليلان اكليلا فرح ولكنهما ايضا اكليلا استشهاد ، اذ ان كل زواج حقيقي يتطلب من الطرفين انكارا للذات كاملا » .

Timothy Ware : L'Orthodoxie. L'Eglise des sept conciles, pp. 392-393, Desclée de Brouwer, 1968.

٩٣ — راجع :

كوستي بندلي : العفة والحب من منظار سيكولوجي ، « النور » ، ١٥ شباط ١٩٦٣ ، ص ٣٩ .

Abel Jeannière : Anthropologie sexuelle, pp. 197-200.
André Alsteens : Dialogue et Sexualité, pp. 188-190.

٩٤ —
cité par Paul Evdokimov : op. cit., p. 58.
٩٥ — راجع :
P. Evdokimov : Les Ages de la vie spirituelle, p. 137.
٩٦ — راجع :
P. Evdokimov : Sacrement de l'Amour, pp. 162-163, 203-204.

٩٧ — كوستي بندلي : المقال ذاته ، ص ٣٩ .
٩٨ — راجع :
cité par P. Edvokimov : Sacrement de l'Amour, p. 95.
٩٩ — يقول ميشال دانسرو :
« ... ان الجسد الجنسي ، بحاجته المرضية ، سوف يتخذ ملء قامته عندما سيصبح معبراً عن الحب ، ولن يجد تجسد الحب اكتماله الا في الجسد المتجلي والمنبعث ! » .
Michel Dansereau : Freud et l'Athéisme, p. 171.
ويقول بيار غريلو :
« ... بالنسبة للزوج كما بالنسبة لكل شخص انساني ، ينبغي الموت مع المسيح ليتاح الدخول معه من جديد الى الفردوس المفقود » .
P. Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture, p. 101, note 1.

راجع ايضا :
Marc Oraison : La Mort... et puis après ?, p. 170, Fayard, 1968.

١٠٠ — راجع :
Claude Tresmontant : Le Problème de l'âme, p. 208, pp. 213-220, Seuil, 1971.

١٠١ — راجع :
Marc Oraison : La Mort... et puis après ?, p. 149.
١٠٢ — راجع :
Marc Oraison : Le Mystère humain de la sexualité, pp. 149-153.

١٠٣ — راجع :
Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, pp. 49-50, 52-53, Les Editions Ouvrières, 1968.
Pierre Teilhard de Chardin : Le Phénomène humain, pp. 266-269, Coll. «Points», Seuil, 1970.
١٠٤ — راجع :
P. Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture, pp. 75-80, 93-94.
Claude Tresmontant : Le Problème de l'âme, p. 219.

Marc Oraison : La Mort... et puis après ?, pp. 146-151.

١٠٥ ــ يقول المفكر واللاهوتي الارثوذكسي الفرنسي اوليفيه كليمان :

« في المجمع المسكوني الاول ، ارتفعت بعض الاصوات لتطلب بأن يعلن ان الزواج والكهنوت متعارضان ، بحجة ان الجنس يدنس المرء (...) فكان ان راهبا مصريا كبيرا ذكر عند ذاك بعفة الزواج وبأن هذا الاخير يتوافق بالتالي تماما مع ممارسة الكهنوت » .

Guy Riobé : La Liberté du Christ. Entretiens avec Olivier Clément, p. 55, Stock-Cerf, 1975.

١٠٦ ــ يقول بول بوشان :

« بما ان المكان الذي يعاش فيه الرمز لا يحوي بالكلية المرموز اليه ، بما ان الرمز حضور وغياب ، (...) لذا ينبغي ان يترك مكان لاظهار بعد الغياب هذا ، في الامتناع عن الحياة الزوجية » .

Paul Beauchamp : A travers Canaan, p. 162, in Sexualité et Chasteté, «Christus», No. 66, tome 17, avril 1970.

ويقول جان ــ ماري له بلون :

« لقد استشهدنا سابقا بملاحظة والس Wells هذه : « مرجوري ، لماذا لها كل هذه القيمة ، ولماذا ليس لها اكثر من هذه القيمة ؟ » (يذكر هنا الكاتب والس عبارة يقولها رجل عن زوجته). ذلك انه يبدو صحيحا ان الزوجين يصبحان ، احدهما تجاه الآخر ، شاهدين لله ، وذلك بما هما عليه ، بقيمتهما الذاتية التي يكتشفانها بلا انقطاع ، وبآن واحد بما ليسا عليه ، بالقيمة الاسمى التي يوجهان اليها . قد يتخذان في البدء بسذاجة « كأصنام » ، ولكنهما يظهران بعد ذلك ، من خلال عملية نزع الصفة الاسطورية عنهما دون تجريدهما من مقامهما ، بمثابة « رموز » تقود الى ابعد منهما (...) هذه خبرة كل زواج يتعمق ، ويمكن نقل جوهر هذه الخبرة حتى الى هؤلاء الذين لا يمارسونها في الواقع . نعتقد ان كثيرا من الدعوات الى العزوبة من اجل ملكوت السموات تستلهم هذا التقدير لحب رجل وامرأة كما تستلهم بآن واحد الحركة الرمزية التي تقود الى تجاوز (...) في آخر المطاف ، انى لنا ان نعرف ما هو الحب لو لم يكن حولنا رجال ونساء يتحابون ، في نهائية ولا نهائية هذا الحب بآن واحد ؟ ان العزوبة من اجل ملكوت السموات تولد في هذه التربة (...) يبدو لنا ان عازبا « من اجل الله » لا يسعه الاستسلام لاحتقار الجنس دون ان يتجاهل اصل دعوته » .

Jean-Marie Le Blond : Unité de l'expérience chrétienne, pp. 233-234, in op. cit.

ويلخص ميشال روا كما يلي مداخلة للطبيب والكاهن مارك اوريزون في حوار نظمه « المركز الكاثوليكي للأطباء الفرنسيين » حول

العزوبة :

« ... ان تحقيق الحب على الصعيد الجنسي يتواجد فيه بالواقع متناقضان . فانه المكان الممكن للقاء قوي ومتميز بين شخصين ، يفتح بابا على اللانهاية ليغلقه فورا . على هذا الصعيد ، يلتقي الجنس الممارس والجنس غير الممارس ليشهدا ان الانسان لم يجعل للزمن بل للأبدية : فالزواج والعزوبة لا معنى لهما الا اذا اخذا معا في المنظار الاخروي ، منظار تجاوز الجنس التناسلي (متى ٢٢ : ٣٠) » .

Michel Roy : Un Colloque sur le Célibat, p. 276, in op. cit.

١٠٧ ــ حول الانحرافات التي قد تطرا على العزوبة المكرسة من جراء تأثرها بالصراع الاوديبي وعقدة الخصي ، راجع ما يقوله الكاهن والمحلل النفسي الفرنسي ج.م. بوهييه :

J.-M. Pohier : Le Célibat sacerdotal. Aspects théologiques et psychologiques, in Psychologie et Théologie, pp. 333-373, Cerf, 1967.

ويقول المحلل النفسي جورج موكو بهذا الصدد :

« كثير من العصابيين يجدون انفسهم مدفوعين ، لا شعوريا في كثير من الاحوال ، الى الاتجاه نحو الكهنوت (الذي هو بالضرورة مقرون بالعزوبة في الكنيسة الكاثوليكية الغربية) من اجل « الاحتماء » من نزعتهم الجنسية . بينما العزوبة الدينية تتطلب بالعكس نضجا اكبر على الصعيد العاطفي والجنسي » .

Georges Mauco : Les Célibataires, p. 167.

على نقيض هذه الانحرافات ، راجع ما يقوله المحلل النفسي الكندي ميشال دانسرو عن عفة يسوع الخالية من الكبت :

Michel Dansereau : Freud et l'Athéisme, pp. 144-149.

عن موضوع العفة المكرسة وامكانية تزييفها وشروط اصالتها ، راجع ايضا :

Costi Bendaly : La Sexualité et sa Signification humaine, in L'Evangile dans la Vie, Editions An-Nour, Beyrouth, 1975.

١٠٨ ــ راجع :

Odile Simon : L'Esclave était fille de roi, p. 185, Les Ed. Ouvrières, Paris, 1965.

١٠٩ ــ يذكر المحلل النفسي الفرنسي ، الدكتور رينه لافورغ ، حالة راهبات اتين يستشرنه بخصوص « حالة من اللامبالاة المطلقة كن يعانين منها ، حتى تجاه ايمانهن » ، « كل عمل ديني لم يكن له اي معنى بالنسبة لهن . كن يؤدين الحركات المطلوبة كي لا

يفتضح امرهن ، ولكن دعوتهن لم تعد تتجاوب مـــع اي شيء في نفوسهن ، فالقداس لم يعد سوى مجرد اصوات ، والصلاة كلاما اجوف » . وقد كشف التحليل النفسي ، في تلك الحالات ، « وجود عائق كان قد عطل بشكل خطير ، منذ الطفولة ، نمو الشعور » .

Dr. René Laforgue : La Foi et l'Equilibre psychique de l'Homme (1953), pp. 121-122, in Au-delà du Scientisme, Mont-Blanc, Genève, 1963.

وفي موضع آخر يقول :

« لا ينبغي ان نخفي عن انفسنا ان اختفاء القدرة على الحب يرافقه عامة اختفاء كل شعور ديني حقيقي ، كما نلاحظ في عـــدد كبير جدا من الاحوال عند النساء الباردات جنسيا » .

Dr. René Laforgue : Crime et Châtiment (1957), p. 230, in op. cit.

١١٠ — راجع :

«Esprit», novembre 1960, p. 1947.

يقول الفيلسوف الفرنسي المعاصر غاستون باشيلار :

« ليس الاعلاء دائما انكارا لرغبة ، انه لا يظهر دوما كأعلاء **ضد** غرائز . بل يمكن ان يكون اعلاء **من اجل** مثال » .

Gaston Bachelard : l'Eau et les Rêves, José Corti, Paris, 1942, pp. 34-35, cité par Herbert Marcuse : Eros et Civilisation, p. 193.

وقد بين المحلل النفسي جورج موكو في كتابه « العازبون » . انه ، اذا كان الاعلاء الكامل ، الذي من شأنه ان يسمح للمرء بأن يكون سعيدا بالكلية في التخلي عن حياة الزوج ، نادرا ، الا ان التخلي الذي يضطلع به الانسان بوعي ؛ مدركا المه وقابلا اياه ؛ « يمكنه ان يسمح باكتمال للشخصية . والامثلة على ذلك عديدة . يمكن القول هنا انه « اذا كان الزواج الطريق الطبيعية للأكتمال ؛ فالعزوبة يمكن ان تكون الطريق غير الاعتياديـــة لأكتمال آخر » (مارك اوريزون : العزوبـــة ، ص ١٨٧) . ويضيـــف الكاتب : « ... ان العزوبة الدينية ، ككل وضع حيوي ، قابل للتطور . انه يمر بالضرورة بأزمات او تساؤلات ، تماما كما هي الحال في الوضع الزوجي » . المهم ، يقول الكاتب ، هو ان يستطيع الشخص تعهد هذه الأزمات بوعي ، مهما كانت اليمة ، مما يسمح له بأن يعيشها ويتخطاها ، بينما ، اذا كبتها ، تصبح اكثر تشويشـــا وديمومـــة وتقوده الى التفتيش عن تعويضات نكوصية (اي تشكل ارتدادا الى مستوى نفسي سابق ، طفولي) . راجع :

Georges Mauco : Les Célibataires, pp. 169-170.

١١١ — يقول جان ماري له بلون :

« ليست القضية قضية امتناع سلبي ، قضية « امـاتة » . صحيح ان العزوبة تطال الرجل والمراة في صميم كيانهما ورغبتهما في الامتلاك الحسي . انما لا يجب ان تفهـم ، رغـم الانحرافات الممكنة ، على انها نوع من الماسوخية واحتراس من الفرح (...) ليست رياضة ضبط للنفس ، او بطولة رياضية في الاماتات (...) ما ترتكز عليه هذه التضحية وهذا الاختيار ، انمـا هـو اختبـار وحضور ، ولكنه اختبار وحضور في الايمان ، مع ما يفترضه ذلك من « ليل » ومغامرة (...) « ان الحياة قد ظهـرت ولقد رأيناهـا ونخبركم بذلك ليكون فرحنا كاملا » : اختبار الله هـذا ، يجب ان نعود اليه لنبلغ جذور الدور « النبوي » الذي يلعبه العازبون من اجل ملكوت السموات » (اذ ان النبي هو « الشاهد على حقيقة الله وقربه ») . راجع :

Jean-Marie Le Blond : op. cit, pp. 230-231.

١١٢ ـ يقول جان ماري له بلون :

« ... التحرر من اجل خدمة الناس ، والتحرر من اجل خدمة الله ، انما هما امر واحد فقط » . راجع :

Jean-Marie Le Blond : op. cit, pp. 229-230.

١١٣ ـ هذا ما ادركه مارون عبود وعبر عنه في روايته « فارس آغا » التي تصور حياة قرية لبنانية في عهد المتصرفية ، اذ سخر من « الخوري يوسف بطرس ابي ابراهيم ، المشهور بالخوري مسرح نسبة الى قريته » ، الذي لم يحل تزمته للبتولية دون استرسالـه في السدوان والخصام ، فكان يطعن بسيرة الكهنة المتبتلين الآخرين ويقيم الدعاوى على الكثيرين من اهالي مسرح وعين كفاع . يقول عنه مارون عبود بلهجته الساخرة :

« المعروف عنه انه خوري بتول ، عفيف طاهر الذيل ، ومنهم من زعم انه لم ينظر الى امراة قط حتى امراة اخيه التي كانت تقيم واياه تحت سقف واحد . ولما انس من نفسه ضعفا بشريا ، كمـا يسمي الغريزة ، رجال الدين ، وخاف من نفسه الامارة بالسوء ، قعد الخوري وحده في بيته الذي ورثه عن ابيه (...) انفـرد خشية ان يتهمه الناس بما كان يتهم هو غيره من الكهنـة المتبتلين (...) عرف المحترم ، كما قلنا ، بنسبته الى (مسرح) وهي قرية منعزلة هادئة مطمئنة ، ولكن الهدوء فارقها حين حلت نعمة الروح القدس على هامة الخوري يوسف ... » .

مارون عبود : فارس آغا ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ ، دار مـارون عبود ودار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ .

١١٤ ـ كوستي بندلي : المقال نفسه ، « النور » ، ١٥ شباط ١٩٦٣ ، ص ٤٨ .

ان العفة المكرسة الاصلية ليست هربا من الحب بل جهادا من اجل تحريره الى أقصى حد من نـزعة التملـك التي تحـد من انطلاقته . لذا فالذي يعيش تلك العفة على حقيقتهـا لا « يملك » لا زوجة ولا اولادا ، حتى بهذا الحد الادنى من الامتـلاك الـذي يعبر عنه الحب البشري بقوله : زوجتي واولادي ، والذي ينبغي لهذا الحب ان يتحرر منه تدريجيا من خلال تعمق وجهاد . ولكنـه ، مقابل ذلك ، وبسبب من ذلك ، **متفرغ** لتقبل كل انسـان من اجل ذاته . انه ، كما قال احد الرهبان القدامى ، « منفصل عن الجميع ومتحد بالجميع » . راجع :

Guy Riobé : La Liberté du Christ. Entretiens avec Olivier Clément, p. 54, Stock-Cerf, 1975.

١١٥ ـ راجع :

Odile Simon : op. cit., p. 185.

عن هـذا الحب المتفجـر عنـد المكـرسين ، يمكن تقديـم شـواهد عديدة ، اكتفي هنا ببعض منها .

يروي أوسفالت كوله ، في كتابه « زوجتك ، هذه المجهولة » ، الشهادة التالية :

« روى لي اخصائي نفسي القصة التالية : « عندمـا كنت في المستشفى العسكري ، ساعدتني كثيرا راهبـة كاثوليكيـة كانت تعتني بي . كنت اثق بها اكثر بكثير مما كنت اثق بأي طبيب . كانت نشيطة ومليئة بالحيوية ، وكانت تهتم بأمور عديدة (...) بالنسبة لراهبة ، كانت منفتحة الفكر جدا ، ولذا لم اتردد في سؤالها ذات يوم ، بشكل فضولي الى حد ما ـ ولكنها تظاهرت بأنهـا لم تلاحظ ذلك واعادت بلباقة الامور الى نصابها دون ان تفارقها ابتسامتها ـ لماذا لم تتزوج . كم كنت مغفلا وغبيا ، انا الذي لم اربى الا بـروح « الانجاب في خدمة الشعب » ! اجابتني الاخت ببساطة كلية : « لو تزوجت ، لما كنت ، على الارجح ، استطعت ان اعتني **بك** في هـذه اللحظة . ارايت ، لقد استطعت هكذا ان اساعد **كثيرا** من الناس . لا اعتقد ان ذلك كان ممكنا على منوال آخر .

« لم تتحدث مرة عن « الله » او « الدعوة » . انمـا شهدت فقط عن حياة مليئة ، عن حياة انسانية (...) اليس ذلك رائعا ؟ تلك الراهبة التي لن انساها ابدا ـ ولن اكون وحـدي في هـذا الوضع ! ـ كانت سعيدة . ايمكن لكل النساء المتزوجات ان تقلن ذلك ؟ » .

Oswalt Kolle : Ta femme, cette inconnue, p. 221.

ويقدم الطبيب النفسي ريشار دامبروزيو صـورة رائعة عن الاخت بوليت ، وعن تفانيها الاموي « المقرون بشفقة لا حد لها

تقريبا » نحو طفلة اعتنى بها هذا الطبيب وتوصل الى شفائها . وقد كانت مغلقا عليها في خرس انطوائي وخالية من كل جاذبية .

Richard d'Ambrosio : Pas d'autre langage qu'un cri, pp. 177-178, 279, Ed. Fleurus, 1972.

وفي الكتاب عينه يتحدث ذلك الطبيب عن عطف الراهبات « الذي لا يفرغ » والذي كان شاهدا له .

R. d'Ambrosio : op. cit., pp. 268-269, pp. 279-280.

ويقول جورج موكو :

« لقد لاحظوا في المستشفيات ان الراهبات كثيرا ما يقدمن تفانيا ويكرسن للمرضى وللعجائز وقتا اطول بكثير مما تستطيع ان تقدمه ممرضات متزوجات » .

Georges Mauco : Les Célibataires, p. 148.

واسمح لنفسي بأضافة شهادة شخصية الى تلك الشهادات . لقد اتيح لي ان ارافق ، كأخصائي نفسي ، ولعدة سنين ، عمل راهبات ارثوذكسيات تأمليات أنتدبن لتعهد احد المياتم ، وان ارى عطفهن العميق على فتيات حرمن من نعمة الجو العائلي ، وسهرهن الحثيث على التعويض لهن قدر الامكان عن هذا الحرمان بدفق من الحنان يشملنهن به وانتباه دائم الى حاجاتهن . وقد رايت ايضا تحسسهن المرهف للمشاكل النفسية التي كانت تنجم احيانا عن الوضع الشاذ الذي كانت تعاني منه تلك الفتيات ، ومجابهتهن لها بالتفهم والصفاء والعناية . كما لفت نظري سخاء حبهن الذي كان يقنع بأسعاد وانماء الغير ويقبل بأن لا يقابل بالمثل .

١١٦ — راجع :

Roger Schutz : La Violence des Pacifiques, cité in «Ecclesia», No. 258, septembre 1970, p. 60.

لقد كتب الاخ روجيه شوتز :

« ان العفة تفتح بعدا مسكونيا لم يفطن اليه : وهي ان نكون ، من خلالها ، بشرا يستقطبهم انتظار بهذا المقدار حتى انهم يتمنون ان لا يحتفظوا بشيء لأنفسهم . هنا تدريب على الانفتاح الى ما هو شامل ، يسمح لنا بأن نتعهد ، بقلب متفرغ ، كل من اتى الينا » .

F. Roger Schutz : Unanimité dans le pluralisme, cité par Marcel et Yvonne Bracquemont, in Hebdo-T.C., No. 1438, 27 janvier 1972, p. 16.

١١٧ — « ... لقد مر منهم خمسة عشر الفا في تيزيه سنة ١٩٦٨ ، وكانوا ٤٢٫٠٠٠ سنة ١٩٧١ ، ٦٠٫٠٠٠ سنة ١٩٧٢ ، ٧٠٫٠٠٠ سنة ١٩٧٣ . وهم ينتمون الى جنسيات متعددة جدا » .

André Vimeux : Le Concile des Jeunes à Taizé, Hebdo-T.C., No. 1573, 29 août 1974, p. 19.

١١٨ — راجع الشهادات عن تيزيه المنشورة في :

Hebdo-T.C., No. 1438, 27 janvier 1972, p. 16.

١١٩ ــ يقول ادمون بربوتان :

« هكذا ، وبمثابة تفرعين
« لتيار حب واحد مولود في الله ،
« الزواج والعزوبة المكرسة يتكاملان ،
« يتناديان ، يتطلبان احدهما الآخر .
« بهما يتجلى في الكون
« بعدا الحب الالهي :
« ــ فالازواج يشهدون ان الله يحب كل انسان كما لو كان وحده في الكون ،
« والمكرسون يشهدون ان الله ، اب الجميع ،
« يشمل كل البشر في حب واحد (...)
« ــ في الاسرة ، يتجلى الله على انه الحي العظيم
« الذي يحب الحياة ، ويسكبها بلا انقطاع .
« يشهد المكرسون ان وراء الحياة الارضية
« التي يتوجب فيها على جنسنا ان ينجب دون انقطاع ليستمر في البقاء ،
« توجد حياة اخرى ، غير فانية ، ابدية ،
« حيث تلك الضرورات : الانجاب ، والموت ، لم يعد لها مكان ،
« انهم ينذرون بانسانية الغد ، ويؤلفونها منذ الآن ؛
« انهم ينبئون بالانسانية الفصحية ،
« ملكوت الله » .

Edmond Barbotin : Croire, pp. 148-149, Desclée, Paris, 1971.